دار قصص وحكايات
للنشر الإلكتروني ٢٠٢١

قلب الصخر

رواية قصيرة

محمد الدمسيسي

قلب الصخر

رواية قصيرة

محمد الدمسيسي

العنوان: الجمعة القاتلة _ قلب الصخر

النوع الأدبي: رواية قصيرة

المؤلف: محمد الدمسيسي *(نبذة)*

قوة السرد: كتابات شبابية

المُدقق اللُغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: رمضان سلمي برقي

تصميم الغُلاف: رمضان سلمي برقي

سنة النشر: 2021

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2021

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

الجزء الاول

(نتؤات حادة)

الجمعة

الثامن والعشرون من يناير عام ٢٠١١

(الساعة الخامسة مساءا)

بدأ العد التنازلي للمصعد وبداخله رجل الاعمال والمليادير الشهير (كمال الشيشيني) ومعه ابنه الوحيد (عاصم) وبدا الوقت الذي يستغرقه المصعد في الهبوط من الطابق الثلاثين والاخير من تلك البناية اشبه بالدهر الطويل الذي لا يريد ان ينتهي ...

كان القلق يعصف بنفس عاصم منذ اندلاع ثورة الشباب او الهوجة كما يسميها والده خاصة مع انقطاع خدمات الانترنت وشبكات المحمول ذلك اليوم ووالده يبدو عليه انه في الاربعين من عمره مع انه يكاد يبلغ الحادية والستين من عمره حيث لم يشب في شعر رأسه سوي فوديه وهو يتمتع بصحة ممتازة وبنية صلبة وقامة رياضية طويلة ومنكبين عريضين ونظر حاد ورغم ذلك كان يمسك في يده اليمني عصا فاخرة رأسها مرصع بالذهب والاحجار الكريمة رغم عدم احتياجه الفعلي لها وقد ورث منه عاصم قوة البنية وطول القامة وزاد من قوة بنيته ممارسته الرياضة بكافة انواعها كالسباحة والرماية وركوب الخيل وحتي الرياضات العنيفة كالجودو والكاراتيه .

وقبل ان يصل المصعد الي الطابق الارضي بقليل تحدث عاصم بلهجة متوترة مخاطبا والده بصوت ذا رنين معدني قائلا له : لا افهم سبب وجودنا في هذه البناية دون قصرنا في المقطم ولا افهم ايضا سبب صرفك للحراسة المصاحبة دوما لنا خاصة في تلك الايام العصيبة .. رد عليه والده بما بدا كأنه صدي لصوته ولكن بلهجة اكثر هدوءا : لا احد تقريبا يعرف انني املك هذه البناية وان لي بها مسكنا يحتل الطابق الاخير باكمله منها ووجود الحراسة معنا ملفت للنظر لذا نحن في امان اكثر دونها ..

فوجئ عاصم بمنطق والده وكأنه رجل أمن من طراز عال وليس رجل اعمال فقال له والمصعد يفتح بابه علي مصراعيه : اعتقد انك بدأت تصدق انها ثورة فعلية وليست مجرد هوجة كما تحب ان تسميها ... خرجا سويا من المصعد ووالده يرد عليه قائلا : وما الثورة اي كانت في اصلها الاهوجة .. هوجة وستنتهي عاجلا ام اجلا .

خرجا من البناية المطلة علي كورنيش النيل الي الشارع وكان عاصم يتلفت حوله في دهشة كبيرة لم يسبق له في عمره القصير الذي لم يتجاوز الثانية والعشرين ان راي مثل ذلك الفراغ والهدوء في شوارع القاهرة .. لا سيارات تتحرك .. ولا بشر .. ولا حتي انفاس وكأن الزمن قد توقف ولم يعد هناك اي شيئ يتحرك سوي هو ووالده هم بفتح باب السيارة ليركب بها والده اولا وهو يخاطبه بعصبية لم يدر لها سببا محددا : اين سنذهب الان برأيك يا والدي العزيز ؟! رد عليه كمال بنبرة تكفي لتهدئة بركان ثائر : الي الشاليه الصغير الذي نمتلكه في الاسكندرية حيث سنستقل اليخت الخاص بنا الي

اسبانيا او ايطاليا فلا اظن ان رحلات الطيران ستكون منتظمة اليوم علي الاقل لا تقلق لقد رتبت كل شيء..

ما ان اتم حديثه حتي انشقت الارض عن ثلاثة اشخاص ملثمين يرفعون الاسلحة البيضاء في و جهيهما ظهروا فجأة كأنهم ظهروا من العدم وقال احدهم في لهجة وحشية : اخرجوا ما معكم والا ذبحناكم .... توترت عضلات عاصم بشدة واستعد للانقضاض عليهم ولكن والده استوقفه بعصاه ورد علي الذي تكلم منهم قائلا في لهجة متهكمة ادهشت عاصم نفسه قبل ان تدهشهم : بل ارحلوا انتم ياولدي في سلام افضل لكم .... رد عليه الرجل بلهجة عصبية ووحشية اكثر : بل ستعطونا ما نريد اذا كنت تريد ان تحتفظ بحياتك انت وهذا الشاب ... ود عاصم لو انه يمتلك سلاحا في تلك اللحظة كان يستطيع ان يردي ثلاثتهم في لحظة واحدة ولكن اصرار والده غير المفهوم علي عدم حمله سلاح شخصي رغم علمه بمهارته في الرماية حال بينه وبين امنيته في تلك اللحظات الحرجة وهو يعلم يقينا ان والده لا يمتلك سلاحا شخصيا ايضا لذا ....

لن تاخذوا منا شيئا لا نود اعطائكم اياه فارحلوا الان قبل ان يعيل صبري .. قطع والده تسلسل افكاره السريع بهذه العبارة الصارمة التي قالها بلهجة تحدي وثقة غريبة لم يجد لها عاصم ما يبررها في هذا الموقف وهم عزل من السلاح امام ثلاثة اشقياء يحملون الاسلحة البيضاء تري هل يفكر والده في الاشتباك معهم ومع وثوب الفكرة الي ذهنه

تحفزت عضلاته وتصلب عوده وفجأة هجم اقرب الرجال اليهما علي ابيه بوثبة مرنة ملوحا بسلاحه ولدهشته العارمة وجد والده يدفعه هو بعيدا دفعة هائلة اسقطته ارضا بعنف لم يكن يظن رغم معرفته بقوة بنية ابيه انه يمتلك مثل هذه القوة ولكن دهشته تحولت الي ذهول كامل وهو يري والده يتفادي طعنة الرجل له بمرونة عجيبة ويسدد اليه لكمة قوية اسقطت الرجل ارضا في عنف وانفه ينزف بغزارة شديدة وقبل ان ينهض عاصم من سقطته ليذود عن والده راه وهو يدير راس عصاه بخفة ليخرج منها سيفا طويلا رفيعا بطول العصا نفسها ويلوح به في مهارة في وجه الرجلين الاخريين الذين بهتا من المفاجأة وقد استغل كمال وقعها عليهما وبادر بالهجوم دون تردد وبضربة واحدة اطاح بكف وسلاح الرجل الثاني فسقط يتلوي من الالم وهو يحاول ايقاف النزيف من يده المبتور كفها وتفادي طعنة الرجل الثالث بخفض راسه قليلا ثم وجه اليه طعنة نافذة بعصاه التي تحولت الي سيف رهيب اصابت معدته مباشرة فسقط مضرجا بدمائه علي الرصيف ونهض الرجل الاول الذي اسقطه كمال بلكمة في انفه ونظر الي زميليه في هلع وذهول ثم اسرع هاربا لا يلوي علي شيئ ..

نهض عاصم من سقطته بصعوبة وهو يحاول ان ينفض عن نفسه غبار الدهشة والذهول ونظرالي والده الواقف امامه في هدوء كأنما لم يرق بحرا من الدماء منذ برهة وكأنه ينظر اليه لاول مرة..... كان يسائل نفسه كيف حدث ذلك بهذه السرعة ؟ وكيف سمح لنفسه ان تاخذه المفاجاة فلا يتدخل للدفاع عن والده الذي بدا للحقيقة غير محتاج للمساعدة علي الاطلاق .

ادخل كمال سيفه داخل العصا السحرية مرة اخري فعادت لسيرتها الاولي مجرد عصا وقد بدت لعيني عاصم في هذه اللحظة وكأنها عصا موسي تلك التي خرج منها ذلك السيف العجيب وخرجت منه ايضا شخصية والده الكامنة تحت هدوئه الشهير والتي لم يكن يعرف عاصم عنها شيئا بالمرة .

كان والده بالنسبة اليه هو رجل الاعمال الهادئ الناجح قوي الشكيمة ذو الشخصية القوية والفريدة وكان يكن له كل الحب والاحترام والتقدير ولكن من هذا الذي يقف امامه الان ؟!

عاد كمال الشيشيني الي هدوئه الاسطوري ووقف يعدل من هندامه واشار دون كلام الي عاصم ليركب السيارة واتجه بالفعل نحوها ولكن عاصم استوقفه قائلا بحدة : من انت؟

التفت كمال اليه بنظرة غريبة لم يعهدها عاصم في عينيه من قبل وقال له في لهجة جامدة : اتريد حقا ان تعرف ؟!

صدمته العبارة والنظرة ولكنه استجمع شجاعته ورد علي والده قائلا بثبات : نعم وبشدة.

قال له كمال في هدوء مستفز : اركب السيارة وسأخبرك وانا اقود ....

قال له عاصم في دهشة : انت ستقود ؟!

رد عليه كمال قائلا : نعم ساقود انا فلن تستطيع القيادة بعدما شاهدت ماحدث الآن .... لم يناقشه عاصم فقد كان والده علي حق لن يستطيع القيادة واعصابه ثائرة وافكاره مضطربة بهذا الشكل .... استقلا السيارة وتحركا بها في اتجاه الاسكندرية وبعد فترة صمت قصيرة بدأ كمال بالحديث وياله من حديث.

***

الجمعة

الخامس من مايو عام ١٩٥٠

(الساعة الثانية والربع ظهرا)

بدا القلق واضحا جليا في علي وجه ونظرات وجيه بك الشيشيني وهو يقف منتظرا خارج غرفة النوم الخاصة به هو وزوجته امينة هانم التابعي في قصرهما العامر بالمنيل فهي علي وشك ان تضع مولودهما الاول ولكن يبدو ان الولادة متعثرة رغم وجود اسماعيل بك مراد افضل وامهر اطباء النساء والتوليد في مصر مشرفا علي عملية الولادة فامينة هانم ذات قلب ضعيف وقد حملت بذلك الجنين بعد زواج دام خمسة عشر عاما دون انجاب وقد بذل الزوجان ما بوسعهما في العلاج في مصر وفي الخارج ايضا دون جدوي ورغم ان عدم الانجاب كان بسبب مشاكل صحية لدي امينة هانم

فقد رفض زوجها المليونير الشهير وجيه بك الزواج من اخري لينجب رغم الحاح الاصدقاء والاقارب وطلب امينة هانم نفسها بعد تيقنها من عدم قدرتها علي الانجاب ولكنه رفض تلك الفكرة رفضا قاطعا لحبه الشديد لامينة هانم وعدم تقبله لفكرة الزواج من اخري ايا كان السبب وعلي غير انتظار حملت امينة هانم وقد سعدا ايما سعادة بذلك الحمل ولكن نظرا لضعف امينة هانم واعتلال صحتها كانت فترة الحمل صعبة للغاية وكانت الحركة ممنوعة بالنسبة اليها تماما الا في اضيق الحدود وقد استغرقت عملية الولادة اكثر من ثلاث ساعات حتي الان وقد رفضت امينة هانم الذهاب للمستشفي وخضع وجيه بك لرغبتها وتم تجهيز كل شيء بالمنزل رغم اصرار الطبيب علي الولادة في المستشفي حيث التجهيزات الطبية الاكثر فاعلية وكفاءة وها هو يندم الان علي خضوعه لرغبتها ويتمني لو كان ادخلها المستشفي ولو حتي بالاجبار .

خرج الطبيب اسماعيل بك وهو يتصبب عرقا ونظر الي وجيه بك نظرة تجمع بين السعادة والقلق وقال له : حمدا لله علي سلامة الهانم قد وضعت غلاما جميلا صحته جيدة .. انبسطت اسارير وجيه بك فرحا بالخبر السعيد ولكنها سرعان ماعادت وتجهمت عندما قال له الطبيب : ولكننا في حاجة الي سرعة نقل امينة هانم للمستشفي فقد اجهدتها الولادة بشدة وفي حاجة للرعاية المركزة.

اصاب الهلع وجيه بك واسرع يتصل بالمستشفي ليتم ارسال سيارة اسعاف علي وجه السرعة ومع وصول سيارة الاسعاف الي باب القصر فارقت امينة هانم الحياة ولفظت

اخر انفاسها في احضان زوجها المفجوع الذي لم يهنأ بفرحته بوليده الذي انتظره اكثر من خمسة عشر عاما ... كانت الدموع الحبيسة في عينيه لا تكاد تعبر عن جبل الحزن الذي انتصب شامخا في قلبه وقام يحمل وليده بين يديه وقال لمن حوله في لهجة حزينة ولكن متماسكة : كفي بكاءا لقد رحلت العزيزة الكريمة ومن الواجب علينا حفظها في ولدها الذي جادت بانفاسها الاخيرة لتهبه الينا واطلق علي مولوده اسم (كمال).

كان واقفا في العزاء منتصبا قويا بقامته الطويلة ووجهه الوسيم الشاحب ويبدو متماسكا لابعد الحدود لا يعلم احد ان الحزن يطحنه طحنا لفقد الزوجة والصديقة والاخت والحبيبة ولم يكن يهون عليه قسوة الطعنة سوي ولده الذي رزقه الله به ليعوضه عما فقد كان يقف بجواره شقيقه الاصغر وسيم بك الشيشيني رغم مابينهما من خلاف قديم وشقيق الفقيدة نعمان بك التابعي ولكنه لم يكن يشعر باحد وانزلقت كلمات العزاء والمواساة علي اذنيه ولم تدخل قلبه رغم صدق بعضها وقد انتوي في قرارة نفسه ان يهب ما تبقي من حياته من اجل ولده الوحيد العزيز .

***

الجمعة

الرابع والعشرون من مارس عام ١٩٦١

(الساعة الثانية عشر ظهرا)

التأميم.. كلمة لم يدرك معناها كمال الطفل الذي لم يكمل بعد عامه الحادي عشر ولكن التغيير الشامل الذي حدث له ولابيه بعدها كان قاسيا علي نفسه البريئة ففجأة وبدون مقدمات انتقلوا من قصرهم العامر الي منزل من طابقين بحي الزيتون ولم يعد ابيه يذهب الي عمله ومصانعه العملاقة والتي زارها كمال اكثر من مرة و لم يعد يزورهما الاهل والاصدقاء المقربين ولاحتي خاله نعمان بك التابعي.

الذي كان ياتي دائما لاقتراض الاموال من ابيه كما سمعه بنفسه في احد الايام بحجرة المكتب الخاصة بوالده في قصر المنيل الذي كان وهو يتوسل ان يعطيه وجيه بك قرضا حسنا ويعد بسداده هو والقروض القديمة وكان وجيه بك يوافق كل مرة اكراما لذكري امينة هانم وكان يلاحظ دائما الفتور في علاقة ابيه بعمه وسيم بك االذي زارهم في تلك السنوات عدة مرات تعدعلي اصابع اليد الواحدة ولكن ما الذي حدث ؟ كيف تغير كل ذلك فجأة ؟ ولماذا نتقلوا من قصرهم الفاخر الي ذلك المنزل الحقير في رايه؟! لم يعرف الاجابة في حينه ولكنه عرفها مع تتابع الايام والشهور .

اما وجيه بك فقد اعترته كابة قاتمة لا تتزحزح ولم يكن مصدر حزنه وكابته انهم اموا مصانعه واملاكه و صرفوا له معاشا شهريا ولكن ما المه بشدة ان القرار لم يتم تطبيقه علي الجميع بل اختص اشخاصا محددين بدليل انه لم يفعلوا الشيء نفسه مع شقيقه وسيم الذي كان يمتلك مصنعا ضخما هو الاخر وقد فطن ان ذلك حدث انتقاما منه بشكل غير مباشر بسبب رفضه القاطع وبشكل واضح وصريح لثورة يوليو ١٩٥٢ فقد كان من انصار الدولة المدنية وكان رايه ان الجيش مكانه الطبيعي هو الثكنات العسكرية وقت السلم وخط النار في حالة الحرب وليس حكم البلاد وقد كان يجاهر برأيه هذا في كل مكان رغم تحذير الجميع له وكان علي العكس منه شقيقه وسيم الذي ايد الثورة وقادتها واسرع يوطد علاقته باعضاء مجلس قيادة الثورة والتبرع للجيش المصري بمبالغ كبيرة .

لم يبقي من الخدم الا عم عوف ذلك الرجل العجوز الذي رفض ان يترك خدمة سيده وجيه بك وهو من الخدم القدامي في القصر قبل حتي ميلاد وجيه بك نفسه ولم يكن يزورهم الا عدد محدود من الاقارب والاصدقاء ظل عددهم يتناقص مع مرور الوقت ولم يبقي منهم من يداوم علي زيارتهم سوي اثنين من اصدقاءه وهما الطبيبين اسماعيل بك مراد وفاروق بك صبري وانغلقت حياته عليه وعلي ولده كمال الذي كان يري فيه ثمرة حبه هو وامينه هانم وهي تكبر وتنضج مفعمة بالقوة والنضارة والحيوية .

أنكب كمال علي دراسته بتفوق و شب طفلا يافعا وسيما قوي البنية كأبيه يبشر بقامة طويلة ذو طبيعة هادئة كان الجميع في مدرسته الجديدة يتحاشونه ويتجنبونه لسبب غير مفهوم ورد علي ذلك بتجاهلهم التام وكان يشغل اوقات فراغه بالجلوس الي ابيه ليحكي له عن تاريخ عائلته العريقة او تاريخ مصر الذي كان مولعا به وعند كتب كثيرة عنه او الذهاب الي النادي الذي احتفظ ابوه بعضويته ليفرغ طاقته الزائدة في بعض الرياضات كالسباحة والرماية التي دربه عليهما والده او حتي الرياضات القتالية مثل الملاكمة وكان له بعض الاصدقاء العابرين في النادي ولكن صديقه الوحيد والاثير لديه بعد ابيه كان مدرب الملاكمة الخاص به الكابتن(محمود علي)

وقد ظن كمال ان حياته ووالده ستستمر علي هذا المنوال ولكن القدر كان لا يزال يخفي الكثير والكثير لهما بعد...

****

الجمعة

الثامن والعشرون من يناير عام ٢٠١١

(الساعة السادسة والربع مساء)

مهلا...

قالها عاصم في عصبية بالغة لوالده الذي يقود السيارة في هدوء غريب يحسد عليه وكانه لم يشتبك مع ثلاثة من قاطعي الطرق منذ قليل واسال بحرا من الدماء وبنفس الهدوء االذي لا ينضب قال له كمال : ماذا تريد؟

رد عليه عاصم بسرعة وعصبية : انا لم اعرف احدا من اقاربنا منذ ولدت لا من ناحية والدتي ولا من عائلتك وها انت تقول لي انه كان لك عم يدعي وسيم الشيشيني لم تخبرني عنه شيئا من قبل....

قال له كمال في صوت هادئ ولكن به رنة تهكم خفية : ولم تستخدم صيغة الماضي؟ فأنا لدي عم بالفعل يدعي وسيم الشيشيني وهو مازال علي قيد الحياة حتي الان ..

اصابت العبارة عاصم بصدمة هائلة فازدرد لعابه بصعوبة وقوة وهو يرد علي والده قائلا: اتريد ان اتقول لي ان لي عم او جد علي قيد الحياة حتي الان ولم اره طيلة حياتي ؟!

رد علية كمال هدوئه المعتاد :اهذا فقط مايدهشك في مارويته لك حتي الان ؟!

غاص عاصم بمقعده في السيارة محاولا استيعاب ما سمعه من ابيه حتي هذه اللحظة ولاذ بصمت مطبق وكذلك ظل كمال صامتا هو الاخر ولم يضف شيئا علي ما قاله حتي قطع عاصم حبل الصمت قائلا : واين هو الان ؟

رد عليه كمال ببساطة : من تقصد ؟ اه عمي وسيم في احدي مصحات رعاية المسنين بالطبع فقد تجاوز التسعين من عمره

رد عاصم عليه بعصبية : وتعرف مكانه ايضا ولا تزوره او تراه ؟!

قال كمال في لهجة غريبة تجمع بين الحزن والكراهية : ازور المصحة احيانا لاطمئن علي حالته الصحية ولكني لا اراه واظن انه لا يريد ان يراني هوايضا .

قال له عاصم بسرعة : ولما لا يريد ان يراك ؟!

رد عليه كمال بهدوء وبدا و كأنه يسترجع ذكري قديمة ومؤلمة للغاية : لهذا قصة اخري يا ولدي ..

سأله عاصم في جدية : اليس له ابناء ؟

قال له كمال في هدوء يخفي الكثير من مشاعره الكامنة : كان له ابن وابنة .

ساله عاصم في دهشة : كان .. اتقصد انهما لم يعودا علي قيد الحياة !

لم يرد عليه كمال فعاود عاصم السؤال قائلا : مالذي حدث لهما ؟ اخبرني

فجأة ضغط كمال فرامل السيارة مما جعل عاصم يندفع بقوة الي الامام علي الرغم من وجود حزام الامان حول خصره ونظر عاصم الي وجه ابيه فوجده جامدا كتمثال من الرخام دون اي انفعالات .. ساد الصمت لفترة قصيرة ثم ادار كمال وجهه الي عاصم

ولاول مرة منذ وعي وادرك يجد دموعا حبيسة في عيني والده لا تجروء علي الخروج من مقلتيه وفي صوت غريب كأنه يصدر من قاع بئر سحيقة قال كمال لولده : سأخبرك بكل شيئ في حينه يا عاصم فلا تستبق الاحداث ....

رد عليه عاصم بتحد غريب قائلا : كلا اريد ان اعرف ماحدث لهما الان وعلي الفور ..

تراقصت اشباح الغضب في عيني والده فجأة ورد علي تحديه له بتحد اخر : استكون اكثر ارتياحا لو اخبرتك ان ابنة عمي المتوفاة هي والدتك الحقيقية وان ابن عمي هو خالك الذي لم تره ابدا في حياتك ؟!

الجمت العبارة لسان عاصم وفقد النطق من هول ما سمع .. زفر كمال بشدة ليفرغ انفعالاته وعاد يقود السيارة ويروي لولده الوحيد حكاية عمره ... عمره كله.

***

الجمعة

الثلاثون من ابريل عام ١٩٦٥ (فجرا)

انتفض كمال من فراشه اثر سماعة لرنين جرس الباب المتصل ودوي طرقات عنيفة علي باب المنزل في تلك الساعة المبكرة من الصباح وقام فزعا متوجها لحجرة ابيه فوجده واقفا امام بابها في ثياب النوم وهب عم عوف مسرعا ليفتح الباب رغم كبر سنه وقبل

ان يصل اليه سقط الباب ارضا بعنف اثر ركلة او دفعة من الخارج وفجأة انتشر رجال كثيرون بثياب مدنية داخل المنزل وتوجه احدهم الي والده قائلا في لهجة عدائية : السيد وجيه احمد الشيشيني علي ما اظن اليس كذلك ؟.. رد عليه وجيه بثبات : نعم هو انا ماذا تريدون وكيف تقتحمون منزلي علي هذا النحو ؟! رد عليه الرجل بخشونة قائلا : معي امرا بالقبض عليك.

فرد عليه وجيه باستهانة : وباي تهمة ؟

قال له الرجل في حدة : ستعرف امام النيابة .. قال له وجيه في برود : ايمكنني الاطلاع علي اذن النيابة الذي بحوزتك ؟

تقدم اليه الرجل بالاذن وفي عينيه نظرة تشف واضحة .. كان كمال يقف مشدوها لا يكاد يصدق ما يحدث ولا يعرف كيف يتصرف في موقف كهذا حاول ان يقول شيئا ولكن الكلمات انحبست في حلقه ..

ايمكنني ان ابدل ثيابي ؟ قالها وجيه في هدوء للضابط الواقف امامه فرد عليه قائلا : لك هذا ولكن لا تتاخر اذهب معه يا رفعت.

تحرك وجيه في اتجاه غرفته فهرع وراءه كمال وهو يقول له في فزع حقيقي : ماذا يحدث يا ابي ؟الي اين ستذهب ؟!

قال له وجيه في ثبات عجيب : لاتخف يا بني لابد انه خطأ ما قد حدث لا تقلق ساعود قريبا .. ثم وجه كلامه لعم عوف قائلا في لهجة امرة : : اذهب بكمال الي منزل عمه وسيم بك حتي اعود ..فاشار الرجل براسه علامة الايجاب والدموع تطفح من عينيه وهنا قال كمال معترضا : كلا لا اريد الذهاب الي منزل عمي دعني انتظرك هنا في منزلنا يا ابي.

قال له وجيه في نفاذ صبر : اسمع لما اقوله ولا تجادلني لا وقت للمناقشة الان.

ذهب وجيه مع القوة التي اتت للقبض عليه وقام عوف بلم اغراضه هو وكمال وذهب به الي فيلا وسيم بك الانيقة بحي الزمالك وقابلهم الرجل بفتور متوقع وقص عليه عوف ماحدث لسيده وجيه بك فسمع منه دون اكتراث ونفحه وسيم بك مبلغا كبيرا من المال وشكره وطلب منه ان يترك كمال عنده وان ينصرف الي منزله حتي عودة وجيه بك .

وبعد ان انصرف عم عوف قال وسيم في خشونة لكمال : اعلم انه لا يوجد سبب يدعوني لاستضافتك في منزلي سوي ان ابيك لم يجد غيري ليعتني بك في غيابه و انني لا اريد ان يقول الناس عني انني تخليت عن ابن اخي في مثل تلك الظروف ولولا هذا ما سمحت لك بالبقاء هنا .. قرأ كمال في صفحة وجه عمه كرها شديدا له ولابيه لم يعلم سببه الحقيقي نعم كان هناك جفاء في علاقة ابيه وعمه لم يدر له سببا ولكنه لم يعلم بوجود كل هذه الضغينة في صدر عمه تجاهه ووالده وعندما سأل اباه ذات مرة

عن سبب ذلك الجفاء والفتور بينه وبين عمه اجابه بانه خلاف قديم في وجهات النظر قبل حتي ان يولد هو ويري نور الحياة ولكنه لم يقتنع بهذا السبب الواهي ابدا .

كانت حياة كمال في بيت عمه اشبه بالسجن حيث خصص له عمه حجرة منفصلة خارج الفيلا ليعيش بها كنت حجرة فسيحة وانيقة ولكنها كانت اشبه بالزنزانة الي كمال ولم يكن مسموحا له بدخول الفيلا نفسها الا في حالة استدعاء عمه له ليعطيه الاوامر والتوجيهات بمنتهي الصلف ولم تكن معاملة زوجة عمه عقيلة هانم له بافضل من معاملة عمه كانت مثالا نادرا في الصرامة والشدة ولم يكن يهون عليه شيئ في هذا المكان سوي ابنة عمه أنهار تلك الفتاة الرقيقة الجميلة ذات القد الرشيق المائل للنحول و التي تصغره بعامين كانت تعامله بلطف وتاتي اليه خلسة في حجرته لتجلس معه قليلا لتلهو معه وليتبادلا الحديث كانت علي النقيض من اخيها أدهم الذي يكبره باربعة اعوام وهو بحق صورة من ابيه في الغرور والقسوة .

واظب كمال علي دراسته وعلي الذهاب للنادي ليمارس رياضاته المفضلة والجلوس مع صديقه الوحيد الباقي ومدربه الاثير كابتن محمود علي الذي اخذت علاقته به منعطفا جديدا كان يهون عليه قليلا فقده لوالده العزيزحيث وجد فيه حنان الاب الغائب وقلب الصديق المفتقد ومتنفسا لمشاعره المكبوتة .

كان كمال يعيش حبيس الامنيات والذكريات منتظرا عودة ابيه بفارغ الصبر ولكن الصبر طال اياما وشهورا ولم يعد وجيه بك وكلما سنحت الفرصة لكمال سال عمه وسيم بك : متي سيعود ابي؟ يرد عليه بتعال قائلا : اطمئن سيعود قريبا.

***

الجمعة

التاسع من يونيو عام ١٩٦٧

(الساعة السابعة مساء)

كان كمال شاهد علي جهاز التلفاز الموجود بحجرة مدير النادي (كابتن محمود علي) خطاب التنحي الشهير للرئيس جمال عبد الناصر وكانت بداخله مشاعر متناقضة فكان يشع بالحزن لما اصاب الوطن من هزيمة وفي نفس الوقت لم يستطع منع نفسه من التشفي في هذا النظام الذي اذله ووالده وذاقا علي يدي رجاله الامرين .

عاد الي منزل عمه فوجد حركة غريبة بالمنزل وشاهد عمه يخرج مسرعا من الفيلا ويركب سيارته ويتحرك بها علي عجل وادرك ان هناك كارثة خاصة المت بعمه غير تلك الكارثة التي حلت بالوطن باكمله واشفق كثيرا علي انهار ولكن لم يستطع منع نفسه عن الشماتة في في عمه وزوجته وولده ادهم .

وفي تلك الاثناء تتابعت الاحداث سراعا وخرجت المظاهرات في انحاء البلاد تطالب الزعيم بالبقاء واعادة البناء والخروج من الهزيمة ولكن في رأي كمال كان لابد من رحيل هذا الرجل الذي كان يشعر كلما نظر اليه انه هزم من الداخل ولن يستطيع الانتصار مرة اخري ابدا وانصب تفكيره في ابيه الغائب هل يا تري سيراه مرة اخري ؟ لقد مر اكثر من عامين منذ اعتقاله كانا من اسوء فترات حياته لم يذق فيهما طعم الراحة اوالسعادة لقد اشتاق الي الي ابيه كثيرا بحق ..اشتاق اليه بقامته الطويلة ووجهه الوسيم وحنانه الدافق وحكاياته الرائعة والمؤثرة تري هل ستعود تلك الايام ؟

***

الجمعة

العاشر من نوفمبر ١٩٦٧

(الساعة الثالثة عصرا)

دخل كمال الي النادي ليلحق بموعد التدريب الخاص به وفي طريقه شاهد فتاة جميلة ذات شعر كستنائي قصير وجسم مدمج يميل الي البدانة وملامح جميلة صافية في مثل سنه تقريبا وهي تحاول ابعاد شابين يحاولان التحرش بها فاتجه اليها علي الفور وقال لهما في هدوء ولكن بلهجة تهديد خفية : هيا ابتعدا عنها الان افضل لكما.. نظر اليه

الشابان باستهانة كانا يكبرانه بخمسة اعوام علي الاقل وقال له احدهما : وما شأنك انت ايها الفتي ؟ اذهب من هنا قبل ان تضطرنا ان نهين كرامتك امام الفتاة.. سارعت الفتاة الي الركض لتاتي باحد افراد امن النادي وبالفعل وجدت احدهم بعد دقائق قليلة وعادت به الي مكان الشابين اللذين حاولا التحرش بها فوجداهما يفترشان الارض في حالة اغماء وبهما كدمات واصابات بالغة وكمال يقف فوق راسيهما منتصبا في هدوء اصابت الدهشة رجل الامن وقال للفتاة :الم تاتي لتخبريني ان اتي لاحمي هذا الشاب يبدو انه لا يحتاج للحماية اطلاقا .. نظرت الفتاة الي كمال في دهشة وامتنان ايضا علي انقاذه لها ثم قالت له : الشكر لك يا كمال .. جاء الدور علي كمال ليندهش ويسالها : اتعرفينني من قبل ؟! قالت له في عذوبة وهي تبتسم ابتسامة ساحرة : بالطبع انا رقية ابنة كابتن محمود علي مدير النادي الم تميزني بعد ؟ تذكرها كمال علي الفور هي رقية التي كانت تاتي صغيرة الي الي النادي مع والدها في بعض الاحيان ولكنه لم يرها منذ اعوام ياللمصادفة !

تم حل المشكلة وديا دون ابلاغ الشرطة بعد تدخل كابتن محمود علي مدير النادي والذي شكر كمال علي موقفه مع ابنته وطلب منه الا يتهور مرة اخري حتي لا يوقع بنفسه في المشاكل ولكن عاصم لم يستطع ان يزيح صورة رقية من عينيه او من ذاكرته بعد هذا اليوم ابدا.

***

الجمعة

الثامن والعشرون من يناير عام ٢٠١١

(الساعة السادسة والنصف مساء)

لم يستطع عاصم منع نفسه من مقاطعة ابيه هذه المرة و قال له في تساؤل حائر : رقية محمود علي ؟! اليست هي والدتي التي ربتني منذ وعيت والمدون اسمها في شهادة ميلادي والتي ماتت بالسرطان منذ عام واحد في باريس؟!

كتم كمال مشاعره بصعوبة وهويقول في هدوء ظاهري يخفي ما في نفسه : نعم هي ...

رد عاصم عليه بعصبية زائدة : اذن كيف تقول لي ان والدتي هي انهار ابنة عمك وسيم؟

وبنفس الهدوء رد عليه كمال قائلا : لهذا قصة ساخبرك بها في حينها ..

فاض الكيل بعاصم وصاح في عصبية بالغة : كم من القصص التي اجهلها عنك وعن والدتي وعن حياتك السابقة والتي يجب ان اعرفها ؟!

رد عليه كمال في نبرة حازمة مفاجئة : اغلق فمك .. بهت عاصم للعبارة وقال لوالده في دهشة : ماذا تقول ؟! رد عليه والده في صرامة شديدة : قلت لك اغلق فمك ... نظر عاصم الي والده في غير تصديق وعاد لينظر الي الي الطريق امامه فوجد انهما قد

دخلا الي احد الشوارع الشهيرة بالاسكندرية وفهم منذ النظرة الاولي ما يقصد والده ففي نهاية الشارع كان هناك شيئا خطيرا يحدث .. شيئا لم يكن في الحسبان علي الاطلاق.

***

الجمعة

الرابع والعشرون من نوفمبر عام ١٩٦٧

(الساعة الرابعة مساء)

دخل وسيم بك الشيشيني علي كمال غرفته ولم يكن قد زاره فيها من قبل مطلقا فهب كمال واقفا وهو لايتوقع خيرا وبدون مقدمات قال له عمه في هدوء : لقد عاد والدك الي المنزل وهو يريد لقاءك .. انتفض كمال من فرط المفاجاة السعيدة غير المنتظرة وانطلق من فوره في سيارة عمه الي منزله في حي الزيتون وكان الطريق طويلا جدا بالنسبة اليه من فرط اشتياقه لابيه وصل الي المنزل وقفز من السيارة قبل ان تتوقف بشكل كامل واسرع الخطا داخل المنزل فيما يشبه العدو وقفز السلالم قفزا حتي وصل الي الباب فوجده مفتوحا يجلس بجواره عم عوف سلم عليه عاصم واحتضنه في حب وحنان ثم ساله في لهفة : اين والدي ؟ فاشار الي الغرفة الخاصة بابيه فطار اليها وفتح

بابها دون ان يطرق كما اعتاد دائما و فجأة تبخرت سعادته واصيب بوجوم وحزن رهيبين فقد وجد والده بجوار النافذة مقعدا علي كرسي متحرك ومد بصره فوجد لاول مرة في حياته الكثير من الادوية والعقاقير بجانب الفراش الخاص بوالده .. نظر اليه والده في حنان وقال له في ود خالص : الن تحتضن اباك بعد كل هذا الفراق ياولدي ؟ ارتمي كمال في احضان ابيه بكل مشاعره الحبيسة في صدره ولكن بلا دموع وقال له في اسي ولوعة : ماذا حدث لك يا والدي ؟ ماذا فعلوا بك ؟ .. قال له والده في لهجة قوية ولكن بها مسحة حزن : تلك ضريبة ثباتي علي موقفي ومبادئي يا ولدي فلا تحزن انها مشيئة الله ولا راد لمشيئته .

عادت حياة كمال الي وضعها شبه الطبيعي فقد انتقل من محبسه في بيت عمه الي منزله بحي الزيتون مرة اخري وظل عم عوف يخدمهما رغم طعونه في السن ولم يكن كمال حزينا لمفارقة منزل عمه فقد كان سجنا بالنسبة اليه ولكنه كان سعيد مغتبطا بمغادرته ولم يكن يحن الي شيئ في منزل عمه سوي جلساته المختلسة مع ابنة عمه ذات الوجه الملائكي انهار .

***

الجمعة

الخامس والعشرون من سبتمبر عام ١٩٧٠

(الساعة العاشرة مساء)

كانت صحة وجيه الشيشيني اخذة في التدهور منذ خروجه من المعتقل وفي تلك الليلة نادي وجيه علي ولده كمال بصوت ضعيف وعلي الرغم من ذلك سمعه كمال باذنيه المرهفة وهو يستذكر محاضراته في كلية الحقوق التي التحق بها وذهب اليه مسرعا وجلس بجواره في الفراش فوجده شاحب الوجه غائر العينين فقال له في لهفة وقلق : ماذا تحتاج يا ابي هل اطلب لك الطبيب ؟

رد عليه وجيه بصوت واهن : كلا ياولدي كل ما احتاجه هو وجودك الي جواري في اللحظات التي تبقت لي في هذه الحياة ..

وجم عاصم واعتراه حزن هائل وتحجرت الدموع في عينيه وهو يقول لوالده : لا تقل هذا ياوالدي ستشفي قريبا باذن الله وستقف علي قدميك وتعيش لتراني اعمل بالسلك القضائي واتزوج وتري احفادك ان شاء الله ....

رد عليه والده بصوت ضعيف ولكن به رنة حزم واضحة : كل ما اريد قوله لك يا ولدي انني انني اسف علي تلك الحياة التي ارغمتنا الظروف عليها فقد كنت اخطط

لمستقبلك بشكل افضل و مختلف تماما عما نحن فيه الان ولكن شاء القدر ان تدفع معي ثمن ثباتي علي مواقفي واقوالي وافعالي في زمن كانت فيه المعارضة تعد خيانة عظمي تستوجب العقاب ..

لم يعلق كمال ولاذ بالصمت فاكمل والده قائلا : كل ما اريدك ان تعدني به هو ان تكمل حياتك بشكل مثالي ولا تتخلي عن طموحك ابدا مهما حدث وان تعثرت خطواتك في الحياة فلا تبتئس ولا تسمح للفشل بالسيطرة عليك ابدا ..

رد عليه كمال في حزن وصدق : اعدك بذلك يا ابي وستعيش لتري ذلك بنفسك في قابل الايام ..

قال له وجيه في صوت اشد ضعفا وبدا انه يجاهد لالتقاط انفاسه : ليتني يا بني.. ليتني واعلم انني لم احب احدا في هذه الدنيا مثلما احببتك ولم اندم علي شيئ في عمري كله قدر ندمي علي ما عرضتك له في حياتك دون قصد مني استودعك الحي الذي لا يموت.

ودخل في اغماءة مفاجئة فاصاب كمال الهلع واسرع يتصل بفاروق بك صبري طبيب والده الخاص وصديقه الوحيد الباقي بعد وفاة اسماعيل بك مراد بعد اعتقال ابيه بعدة اشهر والذي لم يتخلي ابدا عن صداقته لوالده رغم كل ما حدث ثم اسرع وايقظ عم عوف من سباته العميق فقام الرجل العجوز فزعا واسرع يستعد مع كمال لاستقبال الطبيب الذي اتي بعد دقائق قليلة من منزلة بحدائق القبة واسرع بتوقيع الكشف الطبي

علي وجيه الشيشيني وبعد برهة توقفت انفاس وجيه بك الضعيفة والتفت الطبيب الي كمال والدموع تغرق عينيه وخديه قائلا في حزن عميق : البقاء لله ياولدي ...لقد مات والدك.

ادارت الصدمة رأس كمال وكاد يسقط مغشيا عليه ولكنه تماسك بصعوبة ولم تفلت من عينيه دمعة واحدة واجهش عم عوف بالبكاء وقال لكمال في اسي حزين : يا الهي لقد شهدت مولد وجيه بك ولم اتصور ان اعيش لاري موته لك الله ياولدي لك الله.

اتخذ الطبيب اجراءاته المعتادة في مثل تلك الحالات واتصل بوسيم بك الشيشيني واخبره بوفاة شقيقه الاكبر وتم دفن وجيه بك في مقابر العائلة وتكفل وسيم بك باقامة مراسم العزاء بالشكل اللائق وبعد انتهاء العزاء قال وسيم بك في ود مصطنع لكمال وعم عوف يقف بجانبه : لا تتردد في المجيء الي يا كمال ان احتجت شيئا ... رد عليه كمال في لهجة مماثلة : كل ما احتاجه هو ان توفر معاشا شهريا لعم عوف نظير خدمته لنا طوال تلك السنوات ليرتاح ما تبقي له من عمره في بيته فلم يعد الرجل قادرا علي الخدمة بعد الان .. اشار عمه له براسه علامة الايجاب ... نظر عم عوف الي كمال نظرة تحمل العتاب والامتنان في نفس الوقت وقال له في ود وحنان : الا تريدني ان اخدمك بعد الان يا سيدي وابن سيدي ؟! رد عليه كمال في حنان مماثل : بل اريدك ان ترتاح ما تبقي لك من العمر واعدك الا انقطع عن زيارتك ايها الرجل العجوز المخلص ...

تبدت الايام قاسية مظلمة علي كمال بعد وفاة والده ها قد رحل الاب والصديق والملهم الاول له في حياته ترك وجيه الشيشيني فراغا هائلا في حياة ابنه كمال لم يملأه احد قط ومن سخرية القدر ان رحل الرئيس جمال عبدالناصر عن الحياة بعد وفاة والده بايام قليلة ولم يشعر بالحزن لوفاته بالطبع فقد كان في رأيه قد مات فعليا منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ كما اعتبر ابيه قد مات فعليا منذ اعتقاله قبلها بعامين.

لم يكن هناك اصدقاء للعائلة سوي فاروق بك صبري طبيب والده الخاص ولا اقارب غير عمه الصارم وسيم بك واسرته اما من ناحية والدته فقد انقطعت اواصر الصلة بينه وبينهم خاصة خاله نعمان بك التابعي بعدما حدث لهم من تاميم ممتلكاتهم حتي انه لم يحضر احد منهم عزاء ابيه وقد استفزه موقفهم هذا ولم يفكر ابدا في الاتصال بهم ولم يعد له في هذه الدنيا سوي دراسته في كلية الحقوق وعمله تحت التمرين في مكتب المحاماة الخاص باحد اساتذته في الكلية والذي كان معجبا به لتفوقه الدراسي والذهاب للنادي لممارسة الرياضة والجلوس الي كابتن محمود علي مدربه وصديقه و الذي عوضه ولو قليلا عن فقده لابيه الغالي.

***

الجمعة

الثامن والعشرون من يناير عام ٢٠١١

(الساعة السابعة والنصف مساء)

ترجل عاصم من السيارة امام باب الشاليه الخاص به وبوالده في اطراف الاسكندرية وهويتذكر كيف راي في نهاية ذك الشارع الذي دخلا فيه بالسيارة عددا كبيرا من سيارات الدفع الرباعي يقف حولها اشخاص ملثمون يرفعون الاسلحة الالية وينهبون المحال التجارية في ذلك الشارع ومان لمحوا السيارة الخاصة بهما حتي توجهوا اليها في عدائية وهم يطلقون الاعيرة النارية وكيف تعامل والده بثبات غريب مع الموقف فادار عجلة القيادة في مهارة وسرعة شديدتين واسرع عائدا في الاتجاه المعاكس وهو يصطدم ببعض السيارات المتوقفة بالشارع .. لم يجفل اطلاقا من هول الموقف والسيارة تبتعد بهما عن الشارع والطلقات النارية تصيبها في عدة مواضع ولولا ان السيارة كانت مصفحة لاصابتهما بعض تلك الرصاصات المنهمرة .. كان يسائل نفسه من ذلك الرجل الذي كنت اظنه ابي ؟ من يكون حقا ؟

ايعقل انه لم يعرف اباه ابدا طيلة تلك السنوات ؟! صحيح انه لم يكن يعرف شيئا عن تاريخ عائلته قبل اليوم ولكن ماسمعه وعرفه حتي الان لا يشفي نهمه لمعرفة حقيقة ابيه الغائبة عنه .. نزلا من السيارة ودخلا الي الشاليه و اضاء كمال الانوار وجلس علي

الاريكة المريحة بصالة الاستقبال واشار الي عاصم ليجلس علي الكرسي المواجه له فجلس في هدوء غريب وبعد فترة صمت قصيرة قال عاصم لابيه الذي اشعل سيجارا فاخرا واخذ يدخنه في بطء : اريد ان اعرف الحقيقة كاملة يا ابي من تكون حقا ومن كانت امي و كيف تستطيع ان تفعل ما فعلت وكأنك فعلته مرارا من قبل ؟! وانا لم ارك تحمل سلاحا او حتي تقود سيارة في حياتك ابدا ؟!

رد عليه كمال في هدوء معتاد : تقصد في حياتك انت...

رد عاصم في دهشة قائلا : ماذا تقصد بذلك يا ابي ؟!

وعاد كمال ليروي...

***

الجمعة

الثامن والعشرون من مايو عام ١٩٧١

(الساعة الثانية ظهرا)

ارتفع رنين جرس الباب الخاص بمنزل كمال مصحوبا بطرقات خفيفة في تلك الساعة من الظهيرة حيث كان كمال يستذكر محاضراته في تركيز شديد وهو يستعد لخوض

اخر الامتحانات في السنة النهائية في كلية الحقوق وذهب كمال ليفتح الباب وهومتعجب من ذا الذي سيزوره في هذه الساعة ؟ لم يعتد ان يزوره احد منذ وفاة والده كان هو يزور الدكتور فاروق صبري في منزله بحدائق القبة في بعض الاحيان وفي احيان اخري كان يذهب لزيارة عم عوف في منزله بالقلعة تري من الزائر القادم ؟!

فتح الباب ليجد امامه أنهار ابنة عمه تتعثر في حيائها تعرفها علي الفور رغم انها نمت وكبرت واصبحت شابة في غاية الجمال ولم تعد تلك الطفلة التي كان يجالسها خلسة في فترة اعتقال ابيه وفترة اعتقاله هو في منزل عمه ولكن ملامحها الملائكية لم تتغير... عقدت الدهشة لسانه فلم ينبس بحرف واحد مما زاد من خجل انهار وارتباكها وقالت في صحوت مبحوح : كمال كيف حالك انا انهار ابنة عمك الا تعرفني ؟! ... استفاق من دهشته وقال لها في سرعة مداريا حرجه : بالطبع اعرفك اهلا يا انهار تفضلي بالدخول وافسح لها المجال لتخطو داخل المنزل .. ترك هو الباب مفتوحا ودعاها للجلوس وفي نفسه الف سؤال فجلست علي اقرب مقعد صادفها وبعد برهة من الصمت قالت له في حياء اسر : اود ان اعرب لك عن اسفي لمجيئي اليك هكذا دون موعد او اخطار مسبق ولكن الامر جد خطير ... انتبه اليها كمال بكل حواسه وقال لها في ود حقيقي : لست في حاجة الي ذلك يا انهار انه منزل عمك تاتي اليه في اي وقت تشائين ولكن ماذا حدث ؟! ... بعد تردد قالت : منذ ايام تم القبض علي ابي واخي ولم يستطع المحامي الخاص بنا فعل شيئ ولا حتي معرفة مكان احتجازهما وقد حاولت والدتي الاتصال بمعارفنا واستغلال علاقات ابي الكبيرة والمتشعبة ولكن بلا

فائدة الجميع يرفضون مساعدتنا وكاننا اصبحنا منبوذين فجأة من كل من حولنا ولم اعرف كيف اتصرف وفوجئت بنفسي افكر بك عسي ان تستطيع ان تساعدنا فاخذت عنوانك من السائق وجئت اليك دون تردد .. اندهش كمال لما سمعه منها وان كان قد شعر بسعادة كبيرة لم يعرف مصدرها كونها فكرت في اللجوء اليه هو بالذات..صمت كمال قليلا محاولا استيعاب ما سمعه منها وقال لها في حيرة : الحقيقة يا انهار انني مندهش لما سمعت ولا اعرف كيف اساعدك حقا ... ارتسمت علي ملامحها الجميلة خيبة امل لم يتحملها فقال مسرعا : ولكن هناك محاولة يمكن ان تفلح فاستاذي في الكلية محامي كبير لعدد وافر من الشخصيات الهامة وله علاقات واسعة وقريب من دائرة صنع القرار في مصر سنذهب اليه سويا وسوف يجد لنا حلا بعون الله .

ابتسمت في امتنان وقالت له : اشكرك..اشكرك كثيرا يا كمال .

اتصل تليفونيا باستاذه الكبير عزمي مندور فلم يجده في منزله وكان يعلم انه لا يذهب الي المكتب يوم الجمعة فقال لانهار : عودي الان الي المنزل وساذهب انا الي الدكتور عزمي في المساء واتي اليك باخبار طيبة قريبا ان شاء الله شكرته انهار مرة اخري بحرارة ثم غادرت تاركة شذي عطرها ينتشر في المكان ووقف ينظر من النافذة وشاهدها وهي تستقل سيارة ابيها عائدة الي فيلا الزمالك وفي نفسه تتولد رغبة مستحيلة .

في المساء اتصل تليفونيا مرة اخري باستاذه الدكتور عزمي فوجده بالمنزل فاستاذنه في الحضور فرحب به الرجل وبالفعل ذهب اليه كمال في فيلته الصغيرة الانيقة في جاردن

سيتي واستقبله استاذه الخمسيني الوقور بترحاب كبير وقص عليه كمال ما سمعه وعرفه من انهار فاستمع اليه الرجل جيدا ثم اخذ يفكر في صمت وهو يدخن سيجارة طويلة ذات شكل مميز واحترم كمال صمته حتي نهض الرجل من خلف مكتبه وهويشير الي كمال ان يبقي جالسا قائلا له : يبدو لي مما سمعته منك ومما اعرفه عن عمك كرجل اعمال شهير ذو نفوذ قوي ان عمك وابنه متورطان بشكل ما في قضية مراكز القوي وماحدث منذ ايام .. كان يقصد ثورة التصحيح التي قام بها الرئيس محمد انور السادات في الخامس عشر من نفس الشهر .. صمت كمال ولم يعلق فأكمل الرجل قائلا: سأحاول مساعدتك اطمئن اعطني بضعة ايام قليلة وساتي اليك بكل التفاصيل وان احتاج الامر الي تدخل شخصي مني سافعل من اجل خاطرك فانت لست تلميذي النجيب فحسب ولكنك ولدي الذي لم انجبه .

عاد مغتبطا لنجاح محاولته وعزم علي الذهاب الي منزل عمه ليبعث بالطمأنينة في نفس انهار وبالفعل اتجه الي الزمالك حيث فيلا عمه ومع وقوفه خارجها خالجته الذكريات الكثير منها مؤلم والقليل منها مبهج واستأذن في مقابلة انهار ولكن عقيلة هانم هي من قابلته .. كانت كما هي صارمة قاسية متكبرة قابلته في غير ود فحاول ان يذيب شيئا من صرامتها بان قص عليها ما فعله من اجل عمه وابن عمه بناء علي رغبة انهار فردت عليه في لهجة متعالية شديدة الوطأة علي نفسه : اعلم اننا لا نحتاج الي مساعدتك لقد تصرفت انهار من تلقاء نفسها وقد عنفتها علي مافعلت دون علمي فاذهب من هنا ولا تعد الي هذا المنزل مرة اخري .

خرج كمال من منزل عمه مهزوما مطرودا يغص بالخيبة والمرارة و قد لام نفسه علي محاولته مساعدة عمه واسرته رغم كل ما بينه وبينهم من فتور و جفاء يصل الي حد الكراهية ولولا وده القديم لابنة عمه انهار ورغبته الطارئة التي لن يجد لها سبيلا ابدا ما قام بالمحاولة من الاساس.. قطعا لن يدخل هذا المنزل مرة اخري طيلة حياته.

***

الجمعة

الحادي والعشرون من ابريل عام ١٩٧٢

(الساعة التاسعة مساء)

تخرج كمال في كلية الحقوق بتفوق وقد توقع له الجميع اساتذته وزملاؤه ان يتم تعيينه بالسلك القضائي ولكن لاسباب غير معروفة تم تخطيه ولم يتم تعيينه في النيابة كما توقع وامتلأت نفسه بالحقد والقهر ولكنه عمل بوصية ابيه ولم يسمح للفشل بالسيطرة عليه طويلا وقنع بالعمل محاميا تحت التمرين في مكتب استاذه الكبير الدكتور عزمي مندور .

كان عمه وسيم وابن عمه ادهم قد حوكما في قضايا فساد وتم الحكم عليهما بالسجن عشر سنوات لعمه وثلاث سنوات لابن عمه مع غرامة مالية كبيرة ولكنه لم يكترث

كثيرا لمصيرهما بل داخله شيئ من التشفي فيهما وفي عقيلة هانم تلك المرأة الكريهة المتغطرسة وان اشفق كثيرا علي ابنة عمة الرقيقة الجميلة انهار تلك الوردة الجميلة التي لا يعرف كيف نمت وسط غابة الكراهية في بيت عمه .

وكان عم عوف قد توفي منذ شهر وقد حزن كمال كثيرا لموته ولم يبقي من الاحباب سوي الدكتور فاروق صبري وكابتن محمود علي وقد حافظ كمال علي علاقته المتينة بهما وداوم علي زيارتهما.

وفي ذلك اليوم الخماسيني كان كمال علي موعد مع احد اهم عملاء مكتب المحاماة الخاص باستاذه وهو رجل الاعمال الشهير إبراهيم صفوان ومع ازدحام جدول مواعيد الرجل لم يجد غير هذا اليوم ليذهب اليه كمال في قصره العامر بمصر الجديدة لانهاء بعض الاجراءات وتوقيع بعض الاوراق وقد انتابت كمال الدهشة لضخامة القصر والحراسة الشديدة والمكثفة حوله .

كان إبراهيم صفوان احد اباطرة المال والاقتصاد في البلاد وكان يشاع عنه انه احد كبار تجار السلاح في مصر والشرق الاوسط بأكمله و برغم تجاوزه للسبعين من عمره الا انه كان يحتفظ بصحته الي ابعد الحدود بقامته الطويله وملامحه الحادة وقد اعجب بكمال وبذكائه ولباقته منذ راه اول مرة في مكتب عزمي مندور واختاره دون غيره ليكون حلقة الوصل بينه وبين الدكتور عزمي وقد استقبل كمال في ترحاب شديد وجلسا يتحدثان قليلا ووقع إبراهيم علي الاوراق واستاذنه كمال في الانصراف لكن

الرجل اصر علي توصيله بسيارته حيث انه في طريقه للخارج وحاول كمال الاعتذار له ولكن إبراهيم لم يمهله فرصة للمناقشة.

خرجا سويا من القصر وعندما هما بركوب السيارة حانت التفاتة عابرة من كمال الي الجهة المقابلة من الشارع الواسع الذي يطل عليه القصر فوجد سيارة سوداء كبيرة تتجه اليهم في سرعة ومن داخل نافذتها المفتوحة تبرز ماسورة مدفع رشاش وبحركة غريزية دفع كمال إبراهيم صفوان ارضا وخفض راسه في نفس اللحظة التي انطلقت فيها الاعيرة النارية في غزراة نحوهما.. سقط السائق واثنان من افراد الحراسة صرعي فانزلق كمال ارضا وسحب سلاح اقربهما اليه وانتصب واقفا يطلق النار علي السيارة المعتدية في ثبات مدهش فاصاب مطلق النار واطار السيارة الخلفي فاصطدمت السيارة بالرصيف العالي وانقلبت راسا علي عقب وخرج منها سائقها بسرعة عجيبة وحاول اطلاق النار مرة اخري من سلاحه ولكن كمال بالتعاون مع باقي افراد الحراسة قاموا بقتله بسيل من الطلقات .

التفت كمال مرة اخري الي إبراهيم صفوان فوجده واقفا بجوار السيارة سليما معافي وهوينظر اليه مشدوها لا يكاد يصدق ما راه بأم عينيه منذ لحظات قلائل وقد وقر في نفسه انه وجد كنزا هائلا متمثلا في كمال..... وجده بالصدفة البحتة .

(نهاية الجزء الاول)

قلب الصخر

الجزء الثاني

(كمال الوحش)

الجمعة

الثامن والعشرون من يناير عام ٢٠١١

(الساعة الثامنة مساء)

توقف كمال عن السرد عند هذه النقطة ونظر الي ابنه عاصم فوجده جالسا في هدوء ينصت اليه باهتمام شديد ويبدو ماخوذا بما يسمع منه فقال له في بساطة : الا يوجد شيئ هنا لنشربه فانا بحاجة لفنجان من القهوة ... لوهلة لم يبد اي رد فعل علي عاصم ثم قال في دهشة اصبحت ملازمة له منذ منتصف نهار اليوم : حقا .. ساذهب لاري ما يمكنني عمله فلا يوجد احد غيرنا هنا ...

دخل الي المطبخ ووجد البن والسكر وبدأ في اعداد القهوة بالفعل وذهنه يعمل باقصي طاقته محاولا استنتاج ما سيلي من احداث سيرويها له والده .. كان الفضول يقتله ليعرف الحقيقة كاملة من هو والده حقا ومن كانت والدته ومن كان خاله ومن هو جده وسيم وكيف الت حياته الي ماهي عليه الان ؟!

عاد الي والده بفنجاني القهوة فنظر اليه والده باستغراب حقيقي وقال له متسائلا: لمن الفنجان االثاني فانت لا تشرب القهوة مطلقا !

رد عليه عاصم : ولم اعد القهوة مطلقا من قبل ايضا لربما حان وقت التغيير ...

شرد كمال فجأة بعد عبارة ابنه وكأنما ذكرته بشيئ ما وبعد برهة بدأ بارتشاف القهوة ببطء ثم قال لعاصم : من الان ستسمع مني ما يمكن ان يغير كل ما في ذهنك عني وعن كل شيئ عرفته طوال حياتك ... نظر اليه عاصم باهتمام و بداخله شغف لا يوصف للاستماع والمعرفة وقال لوالده : وانا مستعد ...

وعاد كمال ليروي مرة اخري ....

***

الجمعة

الحادي والعشرون من يناير عام ١٩٧٧

(الساعة التاسعة صباحا)

هبط كمال درجات السلم الخاص بفيلته الصغيرة بحي المعادي بسرعة وهو يستعد للخروج نظرا لارتباطه بموعد هام مع ابراهيم صفوان وقبل ان يخرج من باب الفيلا استوقفه نداء زوجته رقية عليه والتي نزلت هي الاخري مسرعة لتلحق به فانتظرها وعندما نزلت اليه احتضنها في حركة رشيقة قائلا : ماذا تريدين يا حبيبة القلب ؟ .. ابتسمت في دلال وقالت له : لا شيئ يا حبيبي ولكن كنت اود ان اخبرك اني ذاهبة لزيارة والدي

اليوم وساعود قبل المساء ... قبلها في خديها وقال مبتسما : خذي السائق معك وان انجزت عملي مبكرا ساتي اليك هناك فقد اوحشني عمي محمود كثيرا .

كان كمال قد عمل مع ابراهيم صفون في شركاته وتغيرت احواله المادية وانتعشت بشكل كبير وكون ثروة لا بأس بها في وقت قصير وتزوج مؤخرا من رقية ابنة مدربه وصديقه كابتن محمود علي الوحيدة .

خرج كمال من بوابة الفيلا واستقل سيارته وانطلق بها بسرعة في اتجاه قصر ابراهيم صفوان وعندما وصل اليه انفتحت له بوابات القصر علي مصراعيها ودخل كمال بالسيارة الي ساحة القصر في سرعة كبيرة نسبيا ودلف الي القصر بثقة واعتداد.

كان ابراهيم صفوان طريح فراش المرض الذي تمكن منه اخيرا ولكنه مازال يتمتع بذهن صاف وتركيز قوي وما ان دخل عليه كمال حتي ابتسم في مودة وقال له : مرحبا بك يا كمال اجلس هنا بجانبي لقد جئت قبل موعدك كالعادة .

بادله كمال الابتسام و قال له في هدوءه الفطري : وانت ايضا كالمعتاد لا تريد ان ترتاح كما اوصي الاطباء .

تجهم وجه الرجل وهو يقول : اللعنة عليهم جميعا لا يريدون ان يتركوني اموت في هدوء. اتسعت ابتسامة كمال وهو يرد عليه قائلا : بل يريدونك الا تموت فيفقدون احد اهم واغني مرضاهم .

جلجلت ضحكة ابراهيم صفوان اثر عبارة كمال الساخرة ثم قال في لهجة جدية مفاجئة : لم تخبرني شيئا عن موقف الشحنة الاخيرة .

عاد كمال الي الجدية مرة اخري وهو يقول : اطمئن لقد دخلت الشحنة الي الي البلاد بسلام وقد ساعدتنا الاحداث الاخيرة علي تشتيت انتباه الجميع عنا .. كان يقصد احداث الثامن عشر والتاسع عشر من يناير والتي هزت البلاد وانتهت بعدول الرئيس السادات عن قراراته الاقتصادية الاخيرة .

قال له ابراهيم صفوان في اهتمام : وهل اتفقت مع الجميع علي حصصهم ؟

اشار كمال اليه برسه علامة الايجاب وهويقول : بالطبع كل شيئ تم ترتيبه والاتفاق عليه مسبقا .

ارتسمت علامات الرضا علي وجه ابرهيم وقال لكمال : الشكر لك يا كمال ليت ولدي اشرف و احمد في مثل مهارتك وشدة بأسك .

قال كمال مجاملا : انهما اكبر مني سنا وامهر مني ولولا مساعدتهما لي ما أمكنني ان افعل كل هذا وحدي .

رد عليه ابراهيم في لهجة ودية : ولولا كمال الوحش ما استطعت ان استمر في سوق تجارة السلاح حتي الان و ربما لم اكن علي قيد الحياة من الاساس.

رد عليه كمال في لهجة مخلصة : لا داعي لذكر هذا الان ساتركك لتخلد للراحة وساذهب لامر علي مجموعة شركاتنا وفي المساء لدي موعد مع شاهين النمر لاسوي معه بعض الامور العالقة .

تجهم وجه ابراهيم مرة اخري وقال لكمال محذرا : اياك وهذا الرجل فهو اكبر منافسينا ويضمر لنا العداء وانت تعرف انه من كان وراء محاولة اغتيالي منذ عدة سنوات .

قال له كمال في هدوء وثقة : لا تقلق سأذهب اليه وانهي كل تلك الخلافات وبشكل نهائي .

نظر اليه ابراهيم في شك ولكن كمال لم يمهله الوقت ليسأل وغادر الحجرة تاركا الاف الافكار تعربد في راس الرجل العجوز .

****

هبط المساء سريعا وكان كمال قد انشغل في العمل فاتصل تليفونيا بزوجته في منزل ابيها واعتذر لهما عن عدم قدرته علي المجيء اليهما ذلك اليوم واستاذنته في المبيت عند والدها فأذن لها بذلك .

ومع اقتراب الساعة من منتصف الليل ذهب كمال مع رجاله الي مقابلة شاهين النمر وفي منطقة صحراوية منعزلة تم اللقاء كان كل منهما يقف مواجها للاخر في حلقة من رجاله خلفهم سياراتهم التي اتوا بها وعلي اضوائها بدأ شاهين الحديث في لهجة

متخابثة قائلا في صوت اجش : مرحبا بكمال الوحش كيف حالك لم ارك من وقت طويل يا رجل ..

نظر اليه كمال مليا بقامته القصيرة البدينة ووجهه المستدير ورد عليه في هدوء يخفي الكثير من الازدراء :

تقصد منذ استيلائي علي شحنة السلاح الخاصة بك منذ عام اليس كذلك يا شاهين ؟

تغير وجه الرجل واحمرت عيناه غضبا وهو يقول محتدا : وان لنا تصفية ما بيننا من حساب ..

رد عليه كمال هذه المرة بسخرية : وكيف تريد تصفية ذلك الحساب يا شاهين بك ؟!

زادت حدة الرجل وهو يقول : ان تعطيني ثمن تلك الشحنة او تعوضني عنها بالشحنة التي ادخلتها الي البلاد منذ ايام .

رد عليه كمال بسخرية اكبر : لا اظن ان ابراهيم بك صفوان سيرضي بذلك وصراحة لقد اتفقنا علي توزيع تلك الشحنة مسبقا وليس لك فيها نصيب ..... اشتدت عصبية شاهين النمر وهو يقول : اعلم ان لي شركاء كبار ذوي نفوذ ولن يعجبهم ابدا ما تقول .

وفجأة انقضت مجموعة جديدة من السيارات علي المكان واحاطت بشاهين النمر ورجاله وانطلقت منها الاعيرة النارية بغزارة فتم تصفية كافة رجال شاهين الذين اخذتهم المفاجأة ولم يجدوا الفرصة للدفاع عن انفسهم وبعد فترة توقف اطلاق النار وتحرك

كمال في اتجاه شاهين فوجده ملقي علي الارض وقد اصابته الرصاصات في كتفه وذراعه اليمني وبجواره سلاحه فركل السلاح بعيدا ووقف ينظر اليه باحتقار وقال في لهجة هادئة واثقة وساخرة : صدقت يا شاهين هذا اوان تصفية الحساب اتذكر محاولتك الخائبة لقتل إبراهيم صفوان منذ عدة سنوات لقد انتظرت طويلا للانتقام منك وها انت الان تقع اخيرا بين يدي.

نظر اليه شاهين في رعب وقال في عصبية بالغة : انت لا تعي ما تفعل ستفتح علي نفسك ابواب الجحيم اذا قتلتني .

رفع كمال سلاحه في حركة سريعة ورشيقة ووجهه الي راس شاهين وهو يقول ساخرا : بل انت من سيذهب الي الجحيم ..وداعا يا شاهين بك ..

ودوي في الصحراء صوت طلقة نارية اخيرة .

***

الجمعة

الثامن والعشرون من يناير عام ١٩٧٧

(الساعة الحادية عشر صباحا)

اغلقت حجرة النوم الخاصة بإبراهيم صفوان ووقف علي باباها حارسان قويان مسلحان وبداخلها كان يجلس كل من اشرف واحمد ابناه وكمال علي ثلاث مقاعد منفصلة امام الفراش الخاص به والرجل يقول في عصبية شديدة لا تناسب حالته الصحية المتدهورة : اللعنة.. لماذا تصرفت دون استشارتي هذه المرة يا كمال الدنيا تكاد تنقلب علينا منذ مقتل شاهين النمر.

رد عليه كمال في هوء بدا مستفزا للغاية للجميع : كان يجب ان يحدث هذ منذ وقت طويل الم يكن ذلك الرجل هو اكبر منافسيك وقد حاول قتلك منذ عدة سنوات ؟!

رد عليه ابراهيم في عصبية اشد : نعم وقد انقذتني انت يومها بأعجوبة ولكن لم يتم اثبات ذلك ابدا وقد تم تسوية الامر بعد هذا وقد انتقمنا منه بالفعل بعدها بعدة ضربات قوية اخرها شحنة السلاح الضخمة التي استوليت انت عليها منه منذ نحو عام او يزيد ولكن الجميع يعلم انك من فعلتها هذه المرة والجميع يعلمون ايضا انك تعمل لحسابي والكبار في الداخل والخارج يرون ان ما فعلته سيحدث اختلالا في السوق هم في غني

عنه وشاهين هذا كان مجرد واجهة لعدد كبير من الشخصيات داخل وخارج مصر وقتله بهذه الطريقة سيجعلهم جميعا اعداءا لنا .

قال له ولده اشرف : اهدأ قليلا يا والدي صحتك لا تحتمل هذا الانفعال ..

نهره والده في حزم وقال : اللعنة عليك وعلي صحتي اهذا كل ما يهمك ايها ال.....

اصابته نوبة سعال مفاجئة فاسرع ولده احمد وكان اقربهم اليه بمناولته كوبا من الماء فارتشف منه رشفة صغيرة وقد تغير لون وجهه من شدة الانفعال والالم ثم اخذ يهدأ رويدا رويدا وبعد فترة صمت قصيرة قال كمال : ساتحمل مسؤلية قتل شاهين النمر وحدي.. منذ الان سانفصل رسميا عن مجموعة صفوان للاستثمار واكون شركة خاصة بي .

انتهت المقابلة عند هذا الحد وخرج كمال من القصر وهو يشعر بالحنق ولكنه لم يشعر ابدا بالندم .

ذهب كمال الي فيلته الصغيرة بالمعادي وقام بعمل عدة اتصالات تليفونية هامة وتناول طعام الغداء مع زوجته رقية بشكل طبيعي .. كانت لديه قدرة عجيبة علي اخفاء مشاعره عمن حوله حتي ان رقية لم تشعر بما بداخله من قلق وتوتر وان اصابتها الدهشة مع مجيئ مجموعة كبيرة من رجال الحراسة المدججين بالسلاح في المساء ليقوموا بحراسة الفيلا وعندما سألته عن سبب ذلك قال لها في بساطة ان المنافسة في مجال

التجارة قد اتخذت شكلا عنيفا هذه الايام ويجب عليه اخذ كافة الاحتياطات ورغم عدم اقتناعها بالفكرة لم يكن امامها غير الاستسلام للامر الواقع .

***

الجمعة

الحادي عشر من فبراير عام ١٩٧٧

(الساعة الثامنة والربع مساء)

استقل كمال سيارته بعدما قام بواجب العزاء في وفاة صديق والده الدكتور فاروق صبري وودع الدكتور نبيل نجله الاكبر في مودة وقال له صادقا : ان احتجت الي اي شيئ لا تردد في الاتصال بي او المجيئ الي في منزلي او مكتبي في اي وقت تشاء فانت لا تعلم مقدار والدك الراحل عندي .. شكره الدكتور الشاب بحرارة ووقف يودعه حتي تحرك مبتعدا بسيارته .

وبعد ان تحرك كمال من حدائق القبة في طريقه الي المعادي وفي منتصف الطريق انتزعته من افكاره وذكرياته صورة منعكسة في مراةسيارته المواجهة له لسيارة اخري تتبعه منذ خروجه من دار المناسبات التي كان يقام بها مراسم العزاء كان يظن انها سيارة عادية

تتخذ نفس طريقه ولكن لسبب ما لا يفهمه راوده الشك فيها مع اقترابها منه... طرازها القوي وسرعتها المتزايدة وزجاجها المعتم.

تحركت غريزته الداخلية علي الفور فزاد من سرعة سيارته وانحرف يمينا بشدة في اول منعطف صادفه وبالفعل صدق حدسه فقد اسرعت تلك السيارة خلفه واثبت قائدها براعته بمحاكاته لمناورة كمال ثم زادت تلك السيارة من سرعتها بشكل جنوني وتخطت سيارة كمال ومن داخلها انهمر سيل من الطلقات النارية فخفض كمال رأسه سريعا وشعر بعامود من النار يخترق جانبه الايسر مع تناثر الزجاج عليه وحوله وتوقفت سيارته بغتة وهنا توقفت ايضا السيارة الاخري ونزل منها رجلان يتشحان بالسواد واخذ كل منهما يقترب من نافذتي سيارة كمال الاماميتين في حذر فوجدا كمال في حالة اغماء ورأسه ملقي علي عجلة القيادة فصوب اقربهما اليه سلاحه وهويقول : مع السلامة يا كمال يا وحش مع تحيات ادهم الشيشيني !!

***

الجمعة

الثامن والعشرون من يناير عام ٢٠١١

(الساعة التاسعة مساء)

كفي ... قالها عاصم في عصبية فنظر اليه كمال في هوء متعجب وهو يقول : ماذا هناك يا عاصم انت تعلم يقينا انني لم القي حتفي في هذا الموقف والا كيف انجبتك بعدها باعوام وكيف اجلس امامك الان ؟!

قال عاصم وهو يقاوم دوارا عنيفا يكتنف رأسه : انا اعلم ذلك ولكن الاحداث التي ترويها لي الان تكاد تصيبني بالجنون.. انت .. انت يا ابي تتاجر بالسلاح وتقتل بدم بارد لا اصدق ما اسمعه منك لا اتخيلك وانت تفعل ذلك .

قال له كمال في حزن عظيم : لقد حذرتك قبل ان اروي لك ولكن للاسف تلك هي الحقيقة يا ولدي.. الحقيقة المجردة ولكني فعلت ما هو أسوء من ذلك .

زادت حدة الدوار وزحف الصداع الي راس عاصم لاول مرة في حياته وهو يقول وقد اوشك علي السقوط من علي كرسيه : اسوء من القتل !

قال كمال في هدوء رزين : نعم وستعرف ماذا فعلت وكيف ولماذا.

سأله عاصم في حيرة تكاد تفتك براسه : ولماذا ارسل ابن عمك من يقتلك وقد انقطعت علاقتك بهم منذ سنوات قبل هذا اليوم ؟!

وعاد كمال ليروي لولده المصدوم .... المصدوم كليا .

****

الجمعة

الثامن عشر من فبراير عام ١٩٧٧

(الساعة السادسة صباحا)

جلس كمال في شرفة غرفته بالمستشفي الخاص الذي كان يعالج فيه من اصابته الاخيرة علي الرغم من برودة الطقس وهويتذكر كيف فاجأ القتلة الذين ارسلوا لاغتياله واخرج سلاحين بكلتا يديه من اسفل عجلة القيادة بسرعة خارقة وارداهما علي الفور ولا تزال عبارة القاتل المحترف ترن في اذنيه : مع السلامة يا كمال يا وحش مع تحيات ادهم الشيشيني ..ورغم ما سمعه لم يتهم احدا في التحقيقات الرسمية التي تمت بعد تلك الحادثة ومن خلال علاقاته واتصالاته علم ان ادهم الشيشيني قد خرج من السجن بعد عام واحد من صدور الحكم بحبسه وانه وعمه وسيم الذي خرج من السجن ايضا منذ عامين من كبار الممولين لصفقات السلاح الخاصة بشاهين النمر وبذلك فهم سبب محاولة ادهم لقتله ولم يسأل نفسه هل كان أدهم يعلم انه كمال الشيشيني ابن عمه ام لا لأنه يعرف مسبقا ان ذلك لن يثنيه عن المحاولة.

وفي الظهيرة اتت اليه زوجته والتي اصابها رعب حقيقي فور علمها بما حدث له وظلت بجواره هي وابيها حتي تعافي وسمح له الطبيب المعالج بالخروج من المستشفي مع توجيهات بالراحة التامة لمدة أسبوعين علي الاقل .

لم يهتم كمال بما قاله الطبيب وضرب به عرض الحائط ورغم توسلات زوجته نزل وحده في المساء واستقل سيارته الجديدة متجها الي قصر ابراهيم صفوان بمصر الجديدة .

سمح له ابراهيم صفوان بالدخول اليه فور علمه بوصوله من الحرس فدخل عليه غرفته فوجده محاطا بالاجهزة الطبية والمحاليل وجهاز اكسجين لمساعدته علي التنفس بشكل طبيعي وعلي الرغم من ذلك مازال محتفظا بتركيزه وصفاء ذهنه ونظراته الحادة.

قال له كمال في لهجة ودودة : مازلت مصرا علي عدم الذهاب للمستشفي ايها الرجل العجوز .

قال ابراهيم في عناد متكبر: سأموت وفق ارادتي وفي فراشي وفي بيتي .

هز كمال رأسه موافقا وقال في لهجة جدية مفاجئة : جئت لاحذرك .. الحرب بدأت ولن تنتهي الا بموتي او موت ادهم الشيشيني .

قال له ابراهيم في خبث : اصحيح ما سمعت من انه ابن عمك ؟

ولاول مرة في حياته تقريبا يشعر ابراهيم صفوان بالخوف الشديد مع نظرة كمال النارية التي سددها اليه وهو يقول له في هدوء مرعب : في صف من ستقف يا ابراهيم بك ؟

قال الرجل في صوت مرتعش من شدة الانفعال : لن اقف في صف احد انا علي الحياد وان احتجت الي مساعدتي فلن اتردد فلك جميل في عنقي لم ارده اليك بعد ولن ياتيك الغدر من ناحيتي ابدا .

ابتسم كمال ابتسامة ذات معني وقال لابراهيم في لهجة واثقة : كلا لا ولن احتاج الي مساعدة من احد ويكفيني ما سمعته منك الان الي اللقاء يا إبراهيم بك ... وتركه كمال ومضي وضربات قلب الرجل تتسارع في وجل مما سيحدث .

***

الجمعة

الثالث والعشرون من اكتوبر عام ١٩٨١

(الساعة السادسة مساء)

استقل كمال السيارة في هدوء وثقة من امام بوابات مطار هيثرو بالعاصمة البريطانية لندن وتبعته سيارة الحراسة الخاصة به في طريقه لمقابلة (يحيي نجاد) ذلك الرجل الايراني الاصل والذي يحمل الجنسية الانجليزية وهو من كبار زعماء تجارة السلاح في العالم والمسؤل الاول عن تنظيم سوق التجارة العالمية للسلاح في منطقة الشرق الاوسط والمورد الرئيسي لها .

كانت احوال كمال المالية قد انتعشت بشكل خرافي في وقت قصير و اتسعت نشاطاته الاقتصادية والتجارية داخل مصر وخارجها بشكل مطرد واصبح من كبار رجال الاعمال المعروفين علي مستوي الشرق الاوسط واصبح له فروعا واعمالا في العديد من العواصم العربية والاوروبية وحتي الولايات المتحدة الامريكية.

وصل كمال الي قصر الرجل في اطراف العاصمة ودخل اليه وحده دون رجاله الذين انتظروه خارجه وعندما دلف الي حجرة الاجتماعات تجمد في مكانه لدقيقة او يزيد وهو يري يحيي جالسا علي راس مائدة الاجتماعات وعلي يساره يجلس ادهم الشيشيني هادئا مبتسما ابتسامة صفراء تطفح بالغل .

تقدم يا كمال لماذا تقف عندك هكذا ؟! قالها الرجل في لهجة ودية امرة وبإنجليزية سليمة متقنة فتقدم كمال ببطء من المائدة وسلم علي الرجل الذي جاوز الستين بعدة سنوات وجلس الي يمينه وتحاشي ادهم بالكلية وكأنه ليس موجودا فتغير وجهه في حنق دفين .

قال الرجل في بساطة : اراهن انك لم تكن تعلم بتلك المفاجأة يا كمال .

رد عليه كمال في هدوءه المثير و بالانجليزية ايضا : ولكنها مفاجأة غير سارة يا سيد يحيي .

قال ادهم في عصبية : أرايت يا سيد يحيي هذا ماحذرت منه .

قال يحيي في لهجة معاتبة لكمال : اريدك ان تنسي الماضي يا كمال وان تنتهي تلك الحرب السخيفة الدائرة بينكما منذ سنوات هذا ان كنت مهتما ان تصبح من موزعينا الكبار في مصر والشرق الاوسط باكمله.

قال كمال في هدوء يحسد عليه: اتريدني ان انسي انه حاول قتلي منذ عدة سنوات ؟!

قال له يحيي في هدوء مماثل : كان ذلك لدوافع العمل البحتة ولم يكن ثأرا شخصيا علي عكس ما فعلته انت مع شاهين النمر ومع ذلك لقد انتصرت عليه في جولات عديدة ووجهت له ضربات موجعة في السوق ورد عليها هو بضربات اخري نعم لم تكن في قوة وجرأة ضرباتك ولكنها كانت ضارة لكليكما ولاعمالنا بشكل عام في مصر والمنطقة و يجب ان ينتهي كل هذا قبل ان نبدأ من جديد .

رد كمال في بطء حذر : وماذا سيكون دور ادهم في هذا ؟

ابتسم الرجل عند هذه النقطة وقال : ستصبحان انتما الاثنان من موزعينا المعتمدين في المنطقة فالسوق كبير ويتسع للكثير خاصة مع نشوب حرب العراق وايران وبداية عهد سياسي جديد في مصر بعد اغتيال الرئيس السادات ولكن بشرط ان تنسيا الضغائن القديمة وتبدأا معا صفحة جديدة وقد علمت من مصادري الخاصة انكما ابناء عمومة مما سيسهل الامور عليكما بالطبع .

رد كمال في سخرية هذه المرة : وربما سيعقدها ..

نظر اليه الرجل في دهشة وهو لا يفهم ما يقصده كمال بهذه العبارة وهنا قال ادهم في خبث شديد : من ناحيتي اعدك يا سيد يحيي انني لن اخون ثقتك وسالتزم باتفاقي معك علي الدوام ..

نظر يحيي الي كمال في تساؤل فقال كمال في هدوء يخفي غضبا مستعرا : وانا ايضا موافق علي الصلح.

هنا اخذ يحيي يد كلا من ادهم وكمال ووضعما في يد البعض ووضع يده فوقهما علامة الاتفاق.

وهكذا بدأ عهد جديد بين كمال وابن عمه أدهم .. عهد الصلح الذي لن يدوم طويلا.

****

الجمعة

الثامن والعشرون من فبراير عام ١٩٨٦

(الساعة الثانية صباحا)

وصل كمال الي المكان المخصص لتسليم شحنة السلاح الي أشرف نجل إبراهيم صفوان الاكبر في مكان ما بالصحراء الغربية ووقف ينتظر وصوله في هالة من رجاله

وبالفعل وصل أشرف في الموعد المحدد ونزل من سيارته ونزل حراسه الشخصيين من سيارة اخري تتبعه ووقف مواجها لكمال وهو يقول له في لهجة متوترة : الم يكن من الممكن تأجيل الموعد يا كمال فأنت تعلم ما يحدث في البلاد من عدم الاستقرار بعد احداث الامن المركزي وفرض حظر التجوال .

ابتسم كمال في هدوء ورد عليه قائلا في سخرية : حقا ؟! اري رغم ذلك ان حظر التجوال لم يمنعك من المجيء في الموعد .

هنا ابتسم اشرف ابتسامة واسعة وهو يقول : لكل منا طرقه واساليبه يا كمال .

قال كمال في جدية مباغتة : وهذا و اسلوبي وطريقتي في العمل فلن نجد فرصة افضل من هذه مع انشغال الامن عنا فهل كنت تنوي عدم المجيء يا اشرف بك ؟

ارتعد اشرف من داخله فهو يعرف كمال الوحش جيدا منذ كان يعمل مع ابيه الراحل ويعلم ايضا انه لولا هو ما استطاعت اسرته ان تستمر في سوق تجارة السلاح حتي الان فقال له مداهنا : وهل استطيع ذلك يا كمال بك ؟!

تمت عملية التبادل والتسليم في سرعة ومضي كل منهما في طريقه وعادت الصحراء الي سكونها المعهود .

***

في المساء كان كمال يجلس شاردا في شرفة فيلته بالمعادي وكانت رقية تنظر اليه من خلف باب الشرفة وهي تشعر بالاشفاق عليه واالحزن الشديد من اجله فقد تزوجا منذ ما يقرب من عشر سنوات ولم تنجب له حتي الان وقد ذهبا الي أطباء كثر داخل مصر وخارجها واجمعوا كلهم علي عدم قدرتها علي الانجاب وهي تعلم مقدار لهفة كمال علي ان يكون له ذرية ولكنه لم يجرحها ولو بكلمة ولم يفكر ان يتزوج مرة اخري لينجب وهي لا تمتلك الجرأة علي ان تطلب منه ان يفعل رغم حبها الطاغي له ولكنها لا تطيق فكرة ان تشاركها به انثي اخري ايا كان السبب ولكنه لو فعل فلن تلومه ورضاه بالامر الواقع يملأها قهرا من الداخل وشعورا متصاعد بالذنب تجاهه.

قطع حبل افكارها صوت طرقات خفيفة علي باب الحجرة فاذنت للخادم بالدخول فأخبرها ان والدها قد وصل لتوه وانه بانتظارها في صالة الاستقبال الخاصة بالفيلا اصابتها الدهشة لمجيء والدها في هذه الساعة علي الرغم من حظر التجوال المفروض في شوارع القاهرة هذه الايام فقالت له انها ستهبط اليه علي الفور وقبل ان تخطو داخل الشرفة لتخبر كمال بوصول ابيها وجدته يقف علي عتبتها وهو يقول لها في ود هادئ : أعلم قد وصل عمي محمود لقد شاهدته وهو يدخل الي الي الفيلا هيا لنستقبله معا.

***

الجمعة

الثامن والعشرون من يناير عام ٢٠١١

(الساعة العاشرة مساء)

اذن هي لم تكن تنجب .. قاطع عاصم والده بهذه العبارة فنظر اليه في تساؤل فأردف عاصم قائلا في لهجة مصدومة : تلك السيدة التي كنت اظنها والدتي لم تكن تستطيع الانجاب اليس كذلك ؟!

صمت كمال ولم يعلق فقال عاصم في عصبية حادة : لهذا تزوجت من ابنة عمك لتنجب لك ولكن كيف تزوجتها علي الرغم مما كان بينك وبين ابيها واخيها من عداء ولماذا تم تدوين اسم إمرأة اخري في شهادة ميلادي في خانة الام وكيف ماتت امي ومتي ؟!

ادار كمال راسه بعيدا عن وجه ولده ومد يده الي جهاز التحكم الخاص بالتلفاز الكبير الموجود بالمكان وقام بتشغيله وخفض الصوت الي اقصي حد ثم بدأ يشاهده وكأنه يجلس وحيدا .

اصابت عاصم نوبة غضب مباغتة وقال لابيه محتدا : اهذا هو ردك؟! الن تصارحني بحقيقة ما حدث لوالدتي ولماذا تعمدت اخفاء كل هذاعني طيلة تلك السنوات ؟

التفت كمال الي ولده ببطء وهو يقول في هدوء كاد يصيب عاصم بلوثة دماغية : مادمت مصرا علي مقاطعتي علي هذا النحو فلن اروي حرفا واحدا بعد الان .... اشتد غضب عاصم الي درجة مخيفة ولكنه سيطر علي اعصابه بقوة فولاذية وجلس صامتا وبعد برهة من الزمن قام الي المطبخ واعد كوبا من العصير و قدمه الي والده وهو يقول في هدوء يخفي ما يعتمل في صدره من تلال الغضب والحيرة: تفضل يا ابتي.

نظر اليه كمال في دهشة وقال له : شكرا .. وبدأ بارتشاف العصير ببطء وهو يشاهد التلفاز صورة دون صوت وبعد فترة صمت لم تمتد طويلا قال عاصم : أعدك انني لن اقاطعك مرة اخري يا ابي ولكن عقلي مازال غير قادر علي استيعاب ما سمعته منك حتي الان فالتمس لي العذر ولو قاطعتك مرة اخري لا تروي لي شيئا بعدها .

اخذ كمال رشفة كبيرة من كوب العصير وقال لعاصم : اذن استعد لسماع ما يلي من احداث قادمة فلن تكون اقل اثارة وغرابة مما سبق بل لعلها ستكون صادمة لاقصي حد.

ازدرد عاصم لعابه بصعوبة وهو يقول : ساحاول الاحتمال اعدك يا ابي انني ساحاول .

***

الجمعة

الثاني من ديسمبر عام ١٩٨٨

(الساعة الخامسة مساء)

ضم كمال ياقتي معطفه وهو يهم بالخروج من الفندق الشهير في قلب العاصمة الفرنسية باريس متوجها لانهاء بعض اعماله حيث كان مرتبطا بميعاد هام مع ممثلي احد التوكيلات التجارية الشهيرة وجال بنظره في سرعة داخل صالة الاستقبال الواسعة الخاصة بالفندق واذا به يفاجأ بوجودها نعم هي دون غيرها أنهار ابنة عمه تجلس مع مجموعة من الرجال والنساء يتبادلون الحديث عرفها علي الفور رغم مرور السنوات كانت كما هي تحتفظ بجمالها الاخاذ وملامحها الملائكية توجه اليها دون وعي وعندما اقترب منها سمعها تتحدث مع من حولها باللغة الفرنسية بطلاقة شديدة واقترب منها اكثر ثم قال موجها كلامه اليها : مرحبا يا انهار كيف حالك ؟

التفتت اليه واصابتها دهشة مشوبة بالسعادة وهي تقول : غير معقول ! كمال كيف حالك ؟ مالذي اتي بك الي هنا ؟!

ابتسم لها في ود قائلا : جئت لانهاء بعض اعمالي هنا قولي لي انت ماذا تفعلين هنا ؟

ردت عليه في بشاشة : أنا اعمل هنا مراسلة صحفية ومترجمة فقد استقللت بحياتي منذ سنوات .

سألها مجاملا : و كيف حال عمي وسيم والاسرة ؟

قالت له بعد تنهيدة طويلة : امي اقعدها المرض وابي مازال غارقا في اعماله بمعاونة اخي بالطبع والذي تزوج اكثر من مرة خلال تلك السنوات ولكنه لم ينجب بعد .

سألها في اندفاع ندم عليه لاحقا : وانتي الم تتزوجي ؟!

بدا عليها حزن عميق وهي ترد عليه قائلة : بلي لقد تزوجت فمنذ ما يزيد عن عشرة اعوام ارغمني ابي واخي علي الزواج من رجل اعمال كبير كانت لهما معه تعاملات كبيرة يدعي شاهين النمر ولكن زواجنا لم يدم طويلا فقد قتل بعد زواجنا بعدة اشهر قليلة و لم اتزوج بعدها وبدات حياتي العملية كصحفية .

تلقي الطعنة صابرا وابتلع الصدمة في روية اذن فقد كانت انهار زوجة لشاهين النمر ولكن الم تعلم انه هو من قتله ؟! صحيح لم يتم اثبات ذلك عليه ابدا ولكن الم يخبرها والدها او شقيقها شيئا عن الحقيقة ؟

لم يبد انها تعرف شيئا عن حقيقة مقتل زوجها السابق وفي ذلك اليوم جلسا سويا في المطعم الخاص بالفندق بعدما اعتذرت لمن كان معها من اصدقاء والغي هو كافة مواعيده وارتباطاته وتحدثا طويلا جدا عن الماضي والحاضر والمستقبل ولم ينتهي هذا

اليوم الا وقد طلب كمال منها الزواج وعلي الرغم من مصارحته لها بانه متزوج من اخري وافقت انهار دون تردد.

الجمعة

التاسع من ديسمبر عام ١٩٨٨

(الساعة العاشرة والنصف مساء)

دخل كمال الي غرفة خاصة بذلك المبني الذي تعود ملكيته لاحدي الشركات الكبري في العاصمة الايطالية روما وهويستعد لمقابلة السيد (بيرنار سانتينو) كانت اول مرة يقابل فيها احدا علي ذلك المستوي من زعماء مافيا السلاح العالمية ولكنه لم يكن يشعر بالخوف قدر شعوره بالفضول لمعرفة سبب استدعاؤه لتلك المقابلة .

بعد خمس دقائق من الانتظار دلف الي الي الحجرة السيد بيرنار كان في مثل سن كمال او يكبره قليلا ذو قامة معتدلة وشعر اسود ناعم طويل ينسدل علي كتفيه.. سلم بتعال علي كمال فكظم كمال غيظه تحت ستار هدوئه الذي لا يفارقه حتي في احلك المواقف وجلسا سويا الي مائدة الاجتماعات والرجل يقول بانجليزية ذات لكنة ايطالية : مرحبا بك يا سيد كمال لقد كنت في شوق للقائك مما سمعته وعرفته عنك وعن نشاطك البارز في السنوات الاخيرة .

قال له كمال : وانا ايضا تشرفت بلقائك يا سيد بيرنار .

قال له الرجل في جدية بالغة : سأدخل في صلب الموضوع الذي اردت مقابلتك بشأنه فانت تعرف اننا نحتاج الي من هومثلك في الايام القادمة ليصبح المسؤل عن تنظيم السوق في مصر ومنطقة الشرق الاوسط بعد وفاة السيد يحيي نجاد ولهذا وقع اختيارنا عليك لتحل محله فما رأيك ؟ اتستطيع تحمل تلك المسؤلية ؟

هضم كمال المفاجأة سريعا وقال في ثقة : بالطبع وانتم تعرفون قدراتي جيدا ولن اخذلكم ابدا .

ابتسم الرجل في خبث وهو يقول : نحن واثقون من هذا والا ما اخترناك دون غيرك .

جلسا يتحدثان طويلا في بعض التفاصيل وبعد ما يقرب من ساعة انهيا حديثهما واستعد كمال للانصراف فسلم علي الرجل مودعا وقبل ان يخطو خارج الحجرة قال له بيرنار وعلي وجهه ابتسامة سمجة : لقد نسيت ان اهنئك علي الزواج فقد علمت انك تزوجت حديثا.. ابتسم له كمال نصف ابتسامة وخرج دون ان يرد عليه.

الجمعة

السابع والعشرون من يناير عام ١٩٨٩

(الساعة الثامنة صباحا)

استيقظ كمال قبل ذلك بساعتين وجلس يقرأ الصحف وهو يرتشف القهوة بحجرة مكتبه في فيلا المهندسين الجديدة التي اشتراها مسكنا له ولزوجته وابنة عمه انهار كان قد صارح رقية بزواجه من انهار فور عودته من الخارج معها وقد تلقت الصدمة في صبر واناة فقد كانت تتوقع ذلك منذ زمن ليس بالقصير.

وكان كمال قد اشتري قطعة ارض كبيرة اعلي هضبة المقطم وشرع في بناء قصر ضخم ليكون مسكنا له ولعائلته في قابل الايام وفي خطوات رشيقة ودون ادني صوت اقتربت منه انهار وعلي الرغم من ذلك احس بوجودها واحاطت عنقه بذراعيها وهي تقول له : لماذا لم توقظني لارتشف قهوة الصباح معك ؟ ابتسم لها كمال وقال في حب جارف : لم اشأ ان اوقظك مبكرا هكذا عندما وجدتك تنامين بعمق فتركتك اتنالي قسطا من الراحة ثم انك ممنوعة من شرب القهوة بامر الطبيب انسيتي انك حامل .

قالت له والسعادة تقفز من عينيها : لم اكن اتوقع الحمل بتلك السرعة ولم اكد اصدق الطبيب عندما اخبرني بذلك منذ يومين .

قال لها وهو يضمها اليه في رفق : ذاك من حسن طالعي .

قاطعهما صوت طرقات علي باب الحجرة فأذن كمال للخادمة بالدخول فدخلت عليهما وهي تقول : معذرة يا سيدي ولكن بالخارج ضيف يصر علي مقابلتك .

سألها كمال في دهشة : في تلك الساعة المبكرة الم يخبرك باسمه ؟

قالت في بساطة : نعم قال انه يدعي ادهم الشيشيني .

توترت اعصاب انهار فجأة وابتعدت بطريقة لا ارادية عن كمال الذي اخذته المفاجأة قليلا ايضا ولكنه استعاد هدوئه سريعا وهو يرد عليها قائلا: حسنا ادخليه الي بعد خمس دقائق .

خرجت الخادمة في سرعة والتفت كمال الي انهار و قال لها محاولا تهدئتها : لا تقلقي يا حبيبيتي سيكون كل شيئ علي ما يرام .

صعدت انهار الي غرفتها دون ان تحاول لقاء اخيها الذي دخل علي كمال حجرة المكتب والشر يتطاير من عينيه وسلم علي كمال في خشونة واضحة ثم قال في غضب شديد دون ان يحاول الجلوس : كيف تجروء علي الزواج من شقيقتي انهار دون موافقتنا او حتي علمنا بذلك ؟

رد عليه كمال بهدوء : اجلس اولا يا ادهم فتلك اول مرة تاتي الي في منزلي .

قال ادهم في حدة : لن اجلس او ارتاح حتي تنتهي تلك المهزلة .

قال له ادهم في صبر وهو يقاوم غضبه المكبوت : وكيف تريد لها ان تنتهي ؟!

قال له ادهم : بان تطلقها علي الفور .

هنا انفلت الوحش من عقاله وقال كمال له في لهجة تهديد قوية : لم ياتي اليوم بعد الذي اخذ فيه الاوامر من امثالك واعلم ان اختك راشدة عاقلة ولم يرغمها احد علي الزواج مني بل تزوجتها بملء ارادتها الحرة ولسنا انا او هي في حاجة الي اخذ الاذن والموافقة من احد ايا كان واخرج من هنا قبل ان افقد صبري .

بهت ادهم واحمرت عيناه غضبا وهو يقول : هكذا اذن.. سنري.. وبالمناسبة هل اخبرتها انك من قتل زوجها السابق شاهين النمر ام لم تخبرها بعد ؟!

اخرج كمال سلاحه من درج مكتبه في سرعة خرافية ووجهه الي ادهم وهويقول في شراسة مباغتة : حذار يا ادهم لقد احتملتك بما فيه الكفاية ولو سولت لك نفسك ان تخبرها شيئا عن الماضي لتنغص به حياتي معها فساقتلك بلا تردد .

ارتعد ادهم خوفا من نظرة كمال الحارقة وخرج من الفيلا مسرعا وهو ينتفض غضبا وقد انتوي شيئا خطيرا .. خطير جدا .

***

الجمعة

السادس من اكتوبر عام ١٩٨٩ الساعة

(الساعة العاشرة والربع صباحا)

كان كمال يخرج من المستشفي الخاص بمدينة لوس انجلوس الاميركية بصحبة وليده الصغير عاصم وزوجته انهار وفي انتظارهما بالخارج تقف ثلاث سيارات حديثة اثنان منهما يخصان الحراسة المصاحبة لكمال دوما منذ سنوات .

كان كمال يشعر بسعادة لا توصف وفرحة لا نظير لها وهو يصر علي حمل ولده بين يديه ويتبادل الاحاديث الضاحكة مع انهار وكيانه كله منحصر عليها وعلي وليده الذي كان يبكي بكاء محببا الي النفس ومع اقترابهم من السيارة الخاصة بهما انفتحت ابواب الجحيم فاطبقت عليهم ما يقرب من عشر سيارات من طراز قوي من كل اتجاه وانطلقت الرصاصات تجاهم في سخاء فساد الهرج والمرج وانطلقت صرخات عديدة في المكان و اصابت كمال رصاصة في ذراعه وهو يحاول حماية ابنه الرضيع واخري في فخذه واحتكت رصاصة بجانب عنقه .

طالت فترة تبادل اطلاق النار ثم هربت السيارات المهاجمة واختفت عن الانظار مع سماع دوي صفارات سيارات الشرطة الاتية الي المكان في سرعة .. قاوم كمال غيبوبة

عنيفة تقاتل للسيطرة علي عقله ونظر الي الي انهار الملقاة الي جانبه فوجدها وقد انطفأ في عينيها نور الحياة والدماء تنزف من فمها وصدرها ورغم فقدانه للوعي تقريبا شعر كمال بغضب لم يسبق له مثيل يجتاح خلاياه كلها.

.....

في المساء كانت رقية ووالدها يقفان خارج غرفة العناية المركزة و قد وصلا توا من المطار بطائرة خاصة وكانت رقية علي وشك ان يصيبها انهيارا عصبيا من فرط الخوف والقلق علي كمال واذا بالطبيب يخرج اليهما وهويقول : كمال بك اصبح افضل الان وهو يطلبك علي وجه السرعة وبالحاح يا سيدتي .

هرعت اليه دون تفكير و دخلت عليه الحجرة فوجدته محاطا بالضمادات والاجهزة الطبية ووجهه جامد ودموع حبيسة تجاهد لتفر من عينيه قالت له في لهفة وحب : حمدا لله علي سلامتك يا كمال لقد انخلع قلبي فور علمي بما حدث لك ولانهار .

التفت اليها في حدة ولم يتكلم فاخذت يده في كفها وقالت له في حنان : اعلم انه رغم كل شيئ انني لم اكرهها ولم اكن لها اية ضغينة وقد حزنت بشدة لما اصابها واسال الله ان يهبك القدرة علي الصبر والتحمل .

قال لها في لهجة غريبة : اريدك ان تاخذي عاصم لتعتني به حتي اخرج من هنا .

قالت في سرعة ودون تردد : سأفعل ياحبيبي لا تقلق فهو قطعة منك وساحبه وارعاه كولدي الذي لم استطع انجابه لك .

***

الجمعة

الثالث من نوفمبر عام ١٩٨٩

(الساعة الواحدة صباحا)

تطاول الغضب ليصبح ماردا جبارا وتجسد الوحش في صورة تنين أسطوري مجنح ينفث النار فيحرق ويدمر كل ما امامه .

هجوم كاسح بقيادة كمال الوحش علي فيلا منعزلة بمنطقة صقارة .. اردي جميع من قابله من حراس وتكفل رجاله بالباقي ودخل الي احدي غرف النوم بالفيلا وتفادي طلقة نارية صوبت اليه فور دخولها في مهارة مكتسبة من الصراعات التي خاضها في حياته واطلق النار في سرعة فاصاب يد ادهم الشيشيني وسقط منها سلاحه ارضا واتجه اليه في ثبات وهدوء وادهم يتراجع في رعب حتي التصق بالحائط وهو يقول في تضرع : الرحمة .. الرحمة يا كمال لم اكن اقصد قتل شقيقتي انهار او ولدها اقسم لك .

نظر اليه كمال بعينين ناريتين في مقت شديد والشياطين ترتسم له علي جدران الغرفة وقال له في غضب رهيب : لم تكن شقيقتك بل كانت زوجتي .. زوجة كمال الوحش ونعم اعلم انك كنت تقصد قتلي انا فلم تتعلم من محاولتك الاولي الفاشلة منذ

سنوات ولكن هذه المرة ستدفع الثمن غاليا هل ظننت انني لن اعثر عليك بعدما حاولت ايهامي انك سافرت خارج البلاد ؟ كلا لن يوجد مكان في الارض يسعك للاختباء مني ايها الوغد.

ولم ير احد ادهم الشيشيني بعدها ابدا ...

***

الجمعة

الثامن والعشرون من يناير عام ٢٠١١

(الساعة الحادية عشر والنصف مساء)

توقف كمال فجأة عن الكلام وشد انتباهه شيئ يحدث علي التلفاز فقام برفع صوته عن طريق جهاز التحكم عن بعد لذي مازال ممسكا به في يده و جلس يشاهد بكل حواسه وعاصم يجلس امامه شاردا يفكر في ما سمعه وعرفه حتي تلك اللحظة ولم يسأل والده عن سبب توقفه عن السرد ولم يعر ما يحدث علي التلفاز اي انتباه .

كان كمال يشاهد بيانا عاجلا يلقيه الرئيس محمد حسني مبارك علي الشعب بعد احداث ذلك اليوم الدامية ولعشرد دقائق او يزيد قليلا استمر البيان وبعد ان انتهي قال كمال في لهجة جدية : هذا ليس كافيا .. ليس كافيا علي الاطلاق ستسوء الامور اكثر.

انتبه عاصم فجأة لحديث والده وقال في لهجة مازال بها بعض الشرود : لا اعتقد ان الامور ستسوء اكثر من هذا .

قال له كمال في دهشة حقيقية : ماذا تعني ؟!

رد عليه عاصم في هدوء : ماذا فعلت بادهم الشيشيني ؟

صمت كمال لبرهة ثم قال في لهجة حزينة : اتريد ان تعرف ؟ اظن انك تتوقع ما فعلته به .

قال له كمال في الحاح : كيف قتلته ؟

هنا التمعت عينا كمال ببريق مخيف وهو يقول لعاصم في ثبات : دفنته حيا اسفل اساسات القصر الخاص بنا في المقطم .

يا للهول .. اي وحش كاسر يربض داخل هذا الرجل ان انتقام والده قد فاق تصوره بكثير ووجم عاصم مصعوقا مما سمعه من ابيه ولم يستطع ان ينطق بحرف واحد بعدها.

قال له كمال في لهجة حانية بدا وقعها غريبا علي اذني عاصم : اظنك تعلم الان لم اخفيت عنك حقيقتي وطبيعة عملي ومن كانت والدتك.. اخفيت كل ذلك عنك اشفاقا عليك مما انت فيه الان .

رد عليه عاصم متسائلا : امازلت تعمل بتجارة السلاح ؟

قال له كمال في لهجة حازمة : نعم فذلك السوق لا يخرج احدا منه الا عندما يموت او يقتل وان كنت اعتمد الان وبشكل كبير علي مساعدي ومدير مكتبي طارق حمزة انت تعرفه بالطبع ولم اعد اباشر عمليات التسليم والتسلم بنفسي منذ زمن طويل وقد تعمدت ابعادك عن نشاطي الفعلي في تجارة السلاح حتي لا ترث عداواتي وما يترتب علي ذلك من اخطار جسيمة .

ساد صمت ثقيل علي المكان بعد هذا الحديث ولم يقطعه سوي قيام كمال ناحية باب الشاليه وهويقول لعاصم : هيا بنا سنذهب الان الي المرسي الخاص باليخت الذي سنبحر به خارج البلاد لقد حان موعد الرحيل .

قام عاصم بصعوبة من كرسيه وبدا منهكا خائر القوي وهو يمشي ناحية الباب وفتح كمال الباب االخارجي للشاليه ووقف قليلا يستنشق الهواء البارد في قوة وبجواره عاصم ومع تحركه مرة اخري ناحية السيارة انطلقت في الفضاء المحيط رصاصة .. رصاصة واحدة جعلت عاصم يخفض راسه بحركة غريزية ثم نظر الي والده فوجده واقفا علي قدميه كما هو وعلامات الالم والدهشة مرتسمة بوضوح علي ملامحه ووبقعة دم تتسع علي صدره في موضع القلب تماما .

ترنح كمال واوشك علي السقوط فاسرع اليه عاصم يتلقفه بين يديه وقال بجزع : ابي ! رد علي يا ابي

قال كمال له وهو يلتقط انفاسه بصعوبة : لا تخف يا بني .. لا تخف قل لي هل اصبت؟

رد عليه عاصم في لهفة وفزع : كلا انا بخير ولكنك مصاب بشدة يا ابي وتحتاج الي اسعاف عاجل .

ابتسم كمال رغم المه وبصق بعضا من الدماء التي ملأت حلقه وفمه : كلا يا بني لن يجدي هذا فقد قلت لك منذ برهة انه قد حان موعد الرحيل ويبدو انني كنت على حق.

تلفت عاصم حوله بحثا عن اي مساعدة من اي نوع ولكنه لم يجد احدا علي امتداد البصر وقال لوالده في حزن مهلك : هيا ساحملك بالسيارة وساذهب بك الي اقرب مستشفي .

قبض كمال علي ساعده بقوة عجيبة وهو يقول له : لا تتعب نفسك ياولدي لقد حانت ساعتي وكنت اعلم ان تلك ستكون النهاية بشكل او باخر ولكن عدني ان تحاول ان تسامحني علي ما فعلته بك وبنفسي عدني يا ولدي.

كان الالم والحزن يعتصران عاصم حتى الثمالة وقال مقاوما دموعه : اعدك يا ابي ولكن قل لي من فعل ذلك بك ؟

ابتسم كمال في ضعف شديد وهو يقول : لا اعرف يا بني ولكن هناك كثيرون ولو كنت اعرف لم اكن لاخبرك حتي لا تحاول الاخذ بثأري لن اعرضك لذلك ابدا .. و هنا تسارعت انفاس كمال وشهق شهقة اخيرة وارتخت يده القابضة علي ساعد عاصم واسلم الروح في هدوء .

ومن مسافة بعيدة نهض القناص الذي اردي كمال برصاصته القاتلة و عدل من هندامه ووضع بندقيته الحديثة ذات المقراب القوي المخصص للرؤية الليلية في الحقيبة الخاصة بها واتجه الي سيارة سوداء كبيرة من طراز حديث تقف علي مسافة مائة متر تقريبا من مكانه وركب السيارة في مقعد السائق وهو يقول للرجل المتغضن الوجه الجالس خلفه : تم كل شيئ علي ما يرام ..انتهي كمال الوحش .

شعر الرجل الجالس بالمقعد الخلفي للسيارة بسعادة بالغة ونشوة لم يشعر بها منذ سنوات عديدة كان قد انجز مهمته الاخيرة في هذه الحياة والتي يشعر ان عمره امتد فقط ليتمها فقد تجاوز الخامسة والتسعين من عمره ولم تبرد نار انتقامه قط كان الذلك الرجل يدعي وسيم .. وسيم الشيشيني .

تمت

نبذة عن المؤلف

محمد حسن عبدالفتاح حسن

مصر

المؤهل الدراسي:

– بكالوريوس تجارة انجليزي –جامعة القاهرة.

اعمال سابقة : لا يوجد